

مجلة المجمع العلمي العربي

تشرين الثاني وكانون الأول سنة ١٩٤٦ ذوالحجة ١٣٦٥ والمحرم ١٣٦٦

المؤلفون في الشام

كان العصر الماضي من أشأم العصور على العلم العربي ضعفت فيه أعمال العقل وتراجعت حركة التفكير وفسدت أساليب الكلام المنشور منه والمنظوم . طمست معالم القديم او كادت والباس لا يعرفون كيف يأخذون انفسهم بالنظام الحديث . ولم يبق من ذاك الماضي المجيد سوى بقايا علوم دينية ولسانية حفظت بقوة التسلسل من ذاك العهد الزاهر الذي امتد من القرن الأول الى القرن السادس من الهجرة . وكان عظيمًا في كل مظاهره في الأضواء العربية . وابتدأ عصر الانحطاط العلمي بالثمة التاسعة وانتهى بالثمة الثالثة عشرة ولكنه انحطاط اشبه بنار تحت الرماد تجبو ثم تتقد . ولما انبعثت النهضة الحديثة كانت الشام كسائر الأقطار العربية تغط في جهلها غطيًا رثى لها منه حتى العدو الشامت . وبكفي في اثبات جهلها ان الطباعة انتشرت في القرن الخامس عشر للميلاد في بلاد الغرب وطبع علماء المشرقيات هناك بعض كتبنا العلمية والأدبية باللغة العربية ونحن لم نعرف شيئًا عن الطباعة الا بعد أكثر من مئتي سنة وما علمنا بما طبعه الغريون من تراثنا العظيم الا بعد أحقاب طويلة .

الجهل يخرّب البيوت العامة . وعجيب من سلطان هذا الجهل الذي خيم على القلوب والأفكار أعصاراً وأصابت به جميع أوضاعنا كيف نجا من برائته الغليظة بعض أفراد احتفظت نفوسهم بشيء من بريق الحقائق وتبلى استعدادهم للاخذ بطرق الرقي واسباب التجدد في عهد بلغ من خمول العقول فيه وفقر الهمم ان كان بعض المذكورين يحفظون القرآن كالبيغاء ولا يقرأون تفسيره ، ويتعلمون الفقه ولا يبحثون عن اصوله وفروعه ، ويتبركون برواية الحديث ويخطون سليمة بسقيمه ويدرسون العروض ولا ينظمون الشعر ويقرأون ما يطلعون عليه علم المعاني والبيان والبديع ولا يحسنون كتب خطبة مؤثرة ولا صفحة مفهومة ، ويأثمهم مدح مزعج ، وشعرهم سخيف ، ويستظهرون قواعد النحو ولا يتلون جملة صحيحة ويتدارسون دساتير التصريف ولا يصححون الرسم ولا الاملاء . ويعظ الوعاظ ويخطب الخطباء ولا يحسنون قراءة آية على وجه صحيح ولا يجودون القرآن ولا يحسنون ترتيله .

ولقد ادركت قضاة لا يحسنون كتابة سطر صحيح ويعجزون عن أخذ حكم من الاحكام الموجودة في الكتب ، ورأيت الأمية تكسوم من فرقهم الى قدمهم ، وليس لهم من لوازم مناصبهم الا الشعار والحبلة الفضفاضة . وليس هناك اطباء ولا صيادلة ولا مهندسون ولا محامون ولا فلاسفة ولا رياضيون ولا فلكيون دع العلوم الأخرى التي امتاز بها الغرب وكانت سبب تفوقه ، وظلت بلادنا منها صفراً بضعة عصور فأتت على أكثر قواها الحيوية ، وهي راضية عن عمايتها لا تنلمس سبيلاً الى الخروج منها .

وبينا كان المسلمون يتهاوتون على تعلم اللغة التركية لتولي اعمال الدولة ويكادون ينسون لغتهم وقوميتهم راضين مختارين كان المرسلون الاميركان واللاتين ينشئون في بيروت وبعض قرى لبنان للدعوة الى البرتستانية والكنيسة مدارس تعلم اللغة العربية في جملة ما تعلم وذلك منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر على حين كان هذا الاسان في حالة النزاع في أمهات البلاد الداخلية ،

وبفضل النهضة التي أحدثها هؤلاء الغرباء الأعاجم في بلادنا وبعوامل أخرى جاء بها الزمن نشأ بين ظهرانينا أفراد تشعبت نفوسهم بحب العلم فعدوا مفتخرة للآداب أمثال عبد الغني الميداني محمود حمزة أحمد فارس يوسف الاسمر ابراهيم الأحدث عبد القادر الحسني امين الجندي ناصيف اليازجي ابراهيم اليازجي بطرس البستاني ابراهيم الخوراني عبد الله البستاني سعيد الشرتوني ادب اسحق رزق الله حسون ميخائيل مشاقة يوسف داود يوسف الدبس محمد الطنطاوي .

وكثر عدد المؤلفين في بيروت حاضرة لبنان قبل غيرها من الحواضر لأن مدارس الأجانب والمدارس الطائفية الوطنية عنت بتعليم العربية ، وظهرت الصحف في بيروت وأنشئت المطابع فيها قبل غيرها من المدن وأخذ القوم في الساحل يتلقون اللغتين الفرنسية والانكليزية ويحتكون بالأجانب ويتقبلون مدينتهم بصدور رحبة وبدأ الغرام يزيد بقول الشعر وكتابة المقالات والقاء الخطب .

وكان من أول الرجال الذين تنبهوا الى اهمال المسلمين اغتهم وحاولوا جبر هذا النقص بكل حيلة عالم عصره الشيخ طاهر الجزائري فانه سعى فأنشأ المدارس الابتدائية الحكومية في ولاية سورية العظيمة ثم عاون معاونه فعلية في انشاء المدرسة الثانوية في دمشق وأسس دار الكتب الظاهرية بدمشق ودار الكتب الخالدية في القدس . وكان يؤلف كتب التدريس للمدارس الابتدائية وبعض الثانوية ولم ينشر كتبه الخاصة التي كان فيها هوى نفسه وآثر ان يضع الأسس للمدارس فيتعلم الناشئة ومنهم يكون العالمون والمؤلفون في المستقبل .

ولا أغلو اذا قلت ان معظم من تعلموا وكانوا على نباهة تؤهلهم للأخذ بتعاليم هذا العالم العامل هم الذين يتولون اليوم مناصب التدريس والادارة على اختلاف ضروبها وعم حركة البلاد في علمها وصناعاتها وتجارتها وزراعتها . ومن لم يأخذ عن الشيخ الجزائري مباشرة أخذ عنه بالواسطة ، ومن لم يقرأ كتبه ويحضر مجالسه انتفع بكتب تلامذته ومجالسهم . وما بلد في الشام من بجرها الى

باديتها ومن عريشها الى فرايتها تخلو من رجل تخرج به واقتبس من نور علمه
واخذ عنه ما ساعدته فريخته وذكاؤه .

وللشيخ من الكتب المطبوعة (توجيه النظر الى أصول الاثر) و (التبيان
لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن) وهذا هو المقدمة الصغرى من مقدمتي تفسيره ،
وتفسيره مازال في المخطوطة المحفوظة في دار الكتب الظاهرية في اربعة مجلدات .
ومنها (التقريب لأصول التعريب) و (شرح خطبة الكافي) وهو معجمه اللغوي
ضاع أكثره و (شرح خطب ابن نباتة) و (رسائل في علم الخط) و (جدول
الحروف العربية القديمة والحديثة والهندية واليونانية الخ) . وكان الشيخ يتقن
الفارسية والتركية والقبائلية ويلم بالفرنسية والعربية والسريانية والحشية . ومن
تأليفه (اقام الانس في عروض الفرس) و (ارشاد الالبا الى تعليم الف با) وهو
كتاب في علم التريية . و (بديع التلخيص وتلخيص البديع) و (تسهيل الحجاز الى
فن المعنى والألفاظ) و (التمرين على البيان والتبيين) و (الجواهر الكلامية في العقائد
الاسلامية) و (الحكم لمنشورة) و (دائرة في معرفة الاوقات والايام) و (عمدة المغرب)
وعدة العرب) و (الفوائد الجسام في معرفة خواص الاجسام) وهو كتاب في
الطبيعات سماه بهذا الاسم لثلاث يستريب منه المتزمتون المتعصبون . و (مدخل
الطلاب الى علم الحساب) و (مد الراحة لأخذ المساحة) و (التجريد) وهو تدرب
اللسان على تجويد البيان ، و (منية الاذكياء في قصص الأنبياء) و (ميزان الافكار
شرح معيار الاشعار) و (مختصرات أمثال الميداني) و (مختصر شرح كتاب أمنية الالمعي)
و (مختصر أدب الكاتب لابن قتيبة) . ومن اهم الكتب التي ضاعت أكثر اجزاها
كتايبه لما عاد من القاهرة الى دمشق بعد تغيبه في مصر ثلاث عشرة سنة
وفي كتايبه خلاصة ما قرأ من المخطوطات وملاحظاته عليها وله مجموعة في مجلد
ضمنها ذكر ما يجب احياؤه بالنشر من المخطوطات العربية الموزعة في خزائن الشرق
والغرب . ولا يبعد ان يكون للشيخ تاريخ دون فيه ما سمعه وراآه فانه كان له

في فن السياسة وعلوم الاجتماع ولا سيما ما كان له علاقة بالحضارة الغربية بد طولي . ومما ألفه وبقي مخطوطاً (الانمام بأصول سيرة النبي عليه السلام) و(مقاصد الشرع) . وقد نشر الشيخ كثيراً من كتب البلغاء أمثال كتاب (الحنين الى الاوطان) للجاحظ و (الادب الصغير) لابن المقفع و (روضة العقلاء) لابن حيان البستي وكتاب (الادب والمروءة) لصالح بن جناح . ومنها (ارشاد القاصد) لابن ساعد الانصاري (وتفضيل النشأتين) للراغب الاصفهاني و (الفوز الاصغر) لابن مسكويه . هذا الى ما نشره من هذا القبيل وكله مما علق عليه وشرحه فضلاً عن الكتب القديمة التي نشرت بعنايته وارشاده في مصر والشام وهي كثيرة . وللشيخ فوق هذا مقالات علمية كثيرة نشرها في المجلات المصرية والشامية وأكثرها بدون توقيعه .

ألبس هذا الشيخ مثلاً أعلى للمؤلفين المحدثين ، ألا يحق للمشرق ان تفاخر بأن كانت مثابة علمه ومنبعث نبوغه في هذه المئة الرابعة عشرة ، كما كانت في المئة السالفة مباءة نبوغ أعظم فقهاء عصره السيد محمد عابدين صاحب الحاشية المشهورة والفتاوى المحررة الذي نظم علم الفقه بنظام دقيق قرب مناله على الدارسين كما نظم طاهر الجزائري في هذا الجيل حركة النهضة العلمية وما ذهب من هذا العالم حتى رأى تلاميذه يؤلفون ويشتهرون في العالم العربي والغربي بتأليفهم .

أما في الساحل فقد حاول بعض رجال النهضة فيه ان يلبسوا العلم العربي ثوباً جديداً تخيلوا فيه النفع لفئة مخصوصة اكثر من الطرق القديمة فأنشأوا يجذفون من الكتب الاسلامية ما لا يروقهم ويصوغون الأدب في قالب وقع استحسانهم عليه حتى انهم وضعوا في أوقات مختلفة سبعة معاجم عربية منها (محيط المحيط) (قطر المحيط) لبطرس البستاني و (أقرب الموارد) لسعيد الشرنوبلي و (البستان وفاكهة البستان) لعبد الله البستاني ومعجم الطالب والنجد والمعتمد ومفجد الطلاب نقلوها من أمهات المعجمات المشهورة وعمرتها عما استبشعوه من الفاظ زعموا انها نائية عن الأدب المصري الحديث .

ومن أهم ما نشره بطرس البستاني وبعض النابهين من أسرته (سليم ونجيب وسليمان) دائرة المعارف العربية وهو عمل عظيم كان له في الاقدام على تأليفه فضل السبق فهو مؤلف اول معلمة عربية وساعد على نشرها الخديوي اسماعيل جد جلالة فاروق الاول ملك مصر ولم يصدر منها سوى احد عشر جزءاً ضخمة . ومهما يكن فهذا الكتاب العظيم عنوان الجدة السوري وراموز الولوع بالعلم والغيرة على نشره ولم تقدم مصر على مثل هذا العمل الى اليوم مع وفرة أسباب التأليف فيها اكثر من سورية قبل ستين سنة . ولا غرو فان لبني البستاني أيادي أيضاً على الآداب في هذه الديار خدموها بأقصى ما وصلت اليه طاقاتهم وساعدتهم يثمتهم . ومن اشتهر منهم سليمان مترجم الياذة هو مبروس شعراً وضع لها مقدمة ممتعة وكذلك كان شأن نسبه عبد الله فانه كان اماماً في اللغة الا ان تأليفه ليست على مقدار طمحه ومن أخذ عنه تلميذه شكيب ارسلان فبرز في الكتابة والشعر وتأليفه كثيرة ومقالاته اكثر من أسفاره ورسائله تدل على عبقرية نادرة ونشاط عظيم . وتخرج بعبد الله هذا وبالعلم سعيد الشرتوني وبالشيوخ ابراهيم اليازجي والشيخ ابراهيم الحوراني كثير من رجال العصر من المؤلفين المجهودين . ومن اشتهرهم امين تقي الدين وبشارة الخوري الشاعر وشبلي ملاط ونسيب ارسلان وعادل ارسلان . ونشأ من الشعراء والكتاب والمؤلفين في يثبات أخرى كثيرون امثال قاسم الكسبي مصباح رمضان عبد الحميد الرافعي شاكر شقير سليم الجندي فؤاد الخطيب خليل مردم بك احمد تقي الدين رشيد تقي الدين سعيد عقل امين ناصر الدين سليم غنغوري سليمان ظاهر ابراهيم طوقان محمد الشريفي خير الدين الزركلي شفيق جبري طائوس عبده ادب التقي عمر حمد محمد الهلالي محمد الشهاب فخري البارودي عمر ابوريشة انور العطار علي الناصر صالح طه حليم دموس الياس ابوشبكة ايليا ليو ماضي عمر الفاخوري عمر يحيى بدر الدين الحامد سليم قصاب حسن عبد الرحمن القصار امجد الطرابلسي زكي المحاسني عبد الكريم الكرمي جميل سلطان محمد علي

الحوماني محمد سليمان احمد، احمد عبد الرؤوف الامين عبد الحسين صادق . ومن هؤلاء الشعراء من كان له ناحية بارزة في الأدب ألف فيها وأنشأ وكان في الكتابة آية ومنهم الزركلي وجبري ومردم بك والحاسني والكرمي وسلطان والطار والعتي ومن نشأ من المؤلفين في العلوم الطبيعية والطبية والزراعية والكبائية والرياضية والاقتصادية والفلسفية شلي شميل بشارة زلزل عبد الرحمن شهنيدر منصور جرداق مصطفى الشهابي مرشد خاطر حسني سبيع محمد محرم صلاح الدين الكواكبي شوكة الشطي منيف العائدي عاطف المالح جميل صليبا جميل الخاني اسعد الحكيم عبد الوهاب فنواقي احمد حمدي الخياط مصطفى الخالدي جمال الفراوي زكريا سامي الحداد فؤاد غصن منير الشريف قدري حافظ طوقان جمال زريق اسكندر بارودي رثيف ابي اللمع جمال نصار شريف عسيران حكمة المرادي أمين معلوف عمر ترماني خليل سعادة خليل سعد حسين سري الدين وغيرهم .

ومن المؤلفين في العلوم الادبية والتاريخية والسياسية لويس شينو عبد الرحمن كواكبي محمد المبارك احمد رضا فيليب طرازي محسن الامين سليم البخاري سويريوس افرايم جرجس همام داود عمون نعوم لبكي نعوم مكرزل احمد عبيد معروف الارناؤط عيسى اسكندر معلوف اسعد منصور فيليب حتي عبد القادر المغربي خليل بيدس امين الريحاني جبران خليل جبران ابراهيم سليم النجار ادوار مرقص نقولا فياض سليم سر كيبس عبد القادر القصاب عبد القادر بدران خليل طوطح عمر الانامي عجاج نوميض عبد الله مخلص تزبه المؤيد ميخائيل نعيمة كامل الغزي راغب الطباخ قسطنطين حمصي سليمان عن الدين جبر ضومط بدر الدين النعساني بشلي جوزي انيس المقدسي يوسف الخازن عمر فروخ مصطفى الغلاييني محي الدين الخياط احمد الصابوني زكريا النصولي عن الدين التنوخي امين سعيد عبد الرحمن الكيالي طاهر النعسان عبد الحسيب الشيخ سعيد ، عمر كحالة عمر الصالح البرغوثي سعيد ابو جرة بولس الخولي صلاح الدين السعدي يوسف البستاني أسد رستم

جرجي بني فؤاد افرام البستاني يوسف غصوب احمد الكرعي جعفر الحسيني عيسى
 اسعد جميل العظم احمد نصرت الشلق احمد فوزي الساماتي ابو اليسر عابدين
 محمود النحاس محمود النجار محمد خير الطباع عبد الحكيم الافغاني سعيد البحرة
 فيليكس فارس امين السفرجلاني عبد الحميد الزهرادي جميل نخلة مدور حقي العظم
 انطون صالحاني نسب شهاب نعمان قساطلي وجيه الكيلاني محمد الفراتي داود
 ابو شعر عبد الغني شهنندر اسعد خليل داغر محمد علي الجزائري امين ضاهر خير الله
 جرجي شاهين عطية زكي مغامر محمد احمد دهمان جميل الشطي فائز الغصين سعيد
 الافغاني حنا خباز علي الطنطاوي صلاح الدين المنجد ابراهيم الكيلاني اسعد
 طلس خلدون الكفاني سليم قبعين جرجي باز عيسى بندق امين الغريب امين الكيلاني
 (وهذا كتاب من الطراز الأول في السخربة) فؤاد حمزة عارف الزين خليل
 تقي الدين نجيب الرئيس قسطنطين زريق عادل زعير عادل جبر داود قربان
 يوسف ضياء الدين الخالدي محمد روجي الخالدي فيضي العلمي شكيب الجابري
 جرجس شلحت بطرس البستاني (الخوري) حبيب الزيات سامي الكيلاني محمد
 الحسيني ياسين الحموي يوسف العش نجيب نصار عمر أبو النصر وجيه يعضون
 شكري العسلي سعيد حيدر احمد كرد علي نجيب صليبا عبد القادر المؤيد محمد
 الداوودي عبد الحميد المغربي حسن بيهم سليمان مصوبع عبد القادر الكرمانلي
 محرم وغيرهم .

وفي العلوم الفقهية والحقوقية والادارية والاجتماعية والدينية طاهر الأتامي
 عبد المحسن الأسطواني جمال القاسمي حسين الجسر يوسف النبهاني ابو الهدى
 الصنادي سليم باز جرجس صفا اسماعيل الحافظ بد الدين الحسيني عارف النكدي
 اصناف النشاشيبي سعيد النعسان ناجي أدب حسني عبد الهادي بهجة البيطار
 نجيب ابو صوان مصباح محرم فارس الخوري سعيد المحاسني عثمان سلطان احمد
 السمان شاكر الحنبلي احسان الشريف نجيب ارمنازي ابراهيم هاشم سعيد الباني

فجيب خلف محمد علي حشيشو يوسف صادر سامي الميداني محسن البرازي محمد سعيد العرفي فوزي الغزي واصف البارودي محي الدين الخاني عبد المجيد الخاني عبد الحميد الجابري امين عز الدين فائز الخوري صبحي المحمدي .

وبكثر العلماء في هذه الفروع ولما كان كلامنا لا يتناول الا من ألفوا وصنفوا لم نعرض لذكرهم كما اننا لم نشر الى من ألفوا تأليف مدرسية فهو لا كثيرون أيضاً ، وعلى من يعرفهم معرفة احاطة ان يتقدم بالكلام عليهم تنويهاً بفضاهم وحسن بلائهم في خدمة الناشئة .

ومن المؤلفات سلمى صائغ وداد سكا كيني ماري عجمي منيرة علي مليحة سعيد نجلا صعب أدبية فارس فلك طرزي نظيرة زين الدين وغيرهن . ولا بد من الاشارة الى أن تأليف المصريين الحديثة اليوم تكتب بلغة أسلس من كتب المؤلفين الشاميين لهدنا وكانت كتب هذه الديار منذ نحو نصف قرن اعرق في البلاغة من كتب المصريين بومئذ وعلى كل فقد سبقت مصر والشام جميع الأقطار العربية الى التأليف ويجيء بعدهما العراق وتونس ثم سائر الأقطار وكل قطر لم يكن فيه حظ للغربيين نقل على ما يظهر حركة العقول في أبنائه وقد لوحظ أن حركة التأليف في بيروت فترت بعض الشيء منذ نحو عشرين سنة وهبت هبة مباركة في دمشق لوجود الجامعة السورية والمجمع العلمي العربي وغيرهما من المعاهد والجمعيات الساهرة على نشر العلم والآداب .

وبعد فان الانصاف بتقاضانا ونحن في آخر هذا الحديث الانغفل عن التنويه بفضل من كانوا مثال الغيرة على لغتنا وتاريخنا أولئك الأعاجم الذين نزلوا بلادنا واستعربوا وكتبوا تأليفهم بلساننا وأفادونا بعلمهم وبما ألفوا لنا من كتبهم الممتعة فكانوا من أعظم العوامل في نهضتنا ، امثال فاندريك وورتيات وبوسط وبورتر ولامنس وعالي سميث وغيرهم فانهم مها كانت العناية من تأليفهم قد أسدوا جيلاً الى أدبنا فحق لهم ان يدحجوا في جملتنا ويعدوا من عشيرتنا فعلى أرواحهم الدكية منا السلام .

ونرسل سلاماً ممزوجاً بالحرمة والاعجاب الى أولئك الذين هاجروا من أبناء
 هذه الديار الى الاميركتين وتوفروا هناك على نشر لغتنا واصدروا صحفاً ومجلات
 وكتباً ورسائل وعزّ عليهم ان يخرجوا عن العروبة وما زالوا بدأبون ليحفظ
 أبناؤهم بعريتهم فهؤلاء أهلنا ومفخرة العرب حيث حلوا . وقد رأينا تأليفهم
 غطاً آخر من أنماط التأليف الشامية لمكان البيئة التي نشأوا فيها بعد موطنهم
 الاول نشأة جديدة وطبعتهم بطابع طريف من طوابع العالم الجديد فعلى من
 يعرفهم أو يعرف جلمهم ان يتفضل فيكتب لنا فصلاً في أعمالهم .
 وأختتم هذه العجالة بالاعتذار عما يكون وقع لي من نقص في سرد أسماء
 المؤلفين فربما فاتني اشخاص لم أذكرهم عند وضع هذا وعلى كل فأنا لا ادعي
 الاحاطة والاحاطة تتطلب درساً أوفى وأطول .

محمد كرد علي

مركز تحقيق وتصوير علوم اسلامی

(١) الأدب العربي في بلاد فارس

(١)

الساميون والابرايون قبل الاسلام

ليس من قصدي أن أتكلم في الصلات اللغوية والأدبية التي كانت بين الساميين عامة والعرب خاصة وبين الإيرانيين قبل الاسلام . فأجتزئ بأن أقول ان الآشوريين والبابليين كان لهم سلطان سيامي ، وسيطرة أدبية على ايران ، ولا سيما غربها منذ الف سنة قبل الميلاد ويتبين هذا في الأمور الآتية :

١ - ان آثار الدولة الفارسية الأولى التي نسميها الآثار الفارسية هخامنشي ، ويسمونها الأوريون الأكينين وتسمى بأسماء أخرى في أساطير الفرس - آثار هذه الدولة كتبت بلغات إحداها سامية ، وكتبت بخط مسماري مشتق منه الخط الآشوري .

٢ - وان لغة ايران أيام الساسانيين ، اللغة التي تسمى الفهلوية كتبت بخط مأخوذ من الخط الآرامي ، واشتملت على كثير من الألفاظ السامية ولا سيما الآرامية منها .

وكان من أثر هذا الاختلاط هذا الخط العجيب الذي سماه ابن النديم هن دارش . وهو خط تكثر فيه الكلمات الآرامية بل تجدد فيه ما لا يستعار من لغة الى أخرى من الضمائر واسماء الاشارة والاستفهام والموصولات وحروف العطف والجر ، وعلامات الجمع والأعداد .

وقد فسر هذا تفسيراً عجيباً ذلكم ان الكاتب بالخط الفهلوي الغامض كان

(١) محاضرة ألقيت في المجمع العلمي العربي لـ ١٢ ايلول سنة ١٩٤٦

إذا خشي أن تتهم الكلمة إذا كتبها باللغة الفارسية وضع مكانها كلمة آرامية تتضح في هذا الخط فإذا أراد أن يكتب «كوشت» مثلاً وهو اللحم بالفهلوية كتب «بسرا» بالآرامية وقرأها «كوشت» وإن أراد أن يكتب «نان» وهو الخبز بالفهلوية كتب «نخا» بالآرامية وقرأها «نان» وهكذا ...

ومعنى هذا أن الكاتب الفهلوي على هذه الطريقة كان يعرف الآرامية فيستعين بها في مواضع اللبس .

**

وأما العرب فقد جاؤوا الفرس وخالطوهم وكان بين القبائل العربية والدولة الفارسية أحداث وغيور من سلم وحرب وموادة ومعاداة وسيطر الفرس على أقاليم عربية . وقد روي أن سابور الملك الساساني صالح العرب وأسكن بعض قبائل تغلب وعبد القيس وبكر بن وائل كرمان وتوتج والأهواز .

وقد ذكر مؤرخو الفرس أن بهرام كور الملك الساساني نشأ في الحيرة في كفالة المنذر أحد أمراءها وتأدب بآداب العرب وعرف لغتهم ونظم بها الشعر وكان أول من نظم الشعر الفارسي وقد أنكره عليه الموابذة ونهوه عنه .

وكذلك دخلت الفاظ فارسية في العربية وعرف بعض العرب الفارسية ، وكان عدي بن زيد ، وابنه زيد بن عدي يكتبان لكسرى بالعربية والفارسية .

وفي أساطير الفرس صلات كثيرة بين العرب والفرس لها دلالتها .

في العصور الإسلامية

فتح العرب إيران لنشر الدعوة الإسلامية وشمل الفرس عدل المسلمين وإحسانهم ، وسارعوا إلى الدخول في الإسلام فعمتهم الأخوة الإسلامية .

قال الطبري : فكانوا كأنما هم في ملكهم إلا أن المسلمين أدف لهم وأعدل عليهم . فاغلبوا وغلبوا بل أسلم بعض الإيرانيين ونصروا العرب في وقائع الفتح .

أسلم الديلم بعد القادسية وشاركوا في فتح جلولاء ونزلوا الكوفة ، وشارك أحد

أعيان الفرس في فتح الري وتولاها بعد الفتح . وطلب سياه أحد زعمائهم أن يفرض له كما أكثر ما يأخذ عربي ليشارك في الفتح .

وقد انساح العرب في أرجاء ايران منذ عهد عمر ، أذن لم الخليفة في الانساح حين ثار أهل فارس والجلال . وقد روى الطبري قول عمر : ألا وان المصريين (البصرة والكوفة) من مسالحها اليوم كأنتم والمصريين فيما مضى من البعد . وقد غلوا في البلاد والله بالغ أمره .

وبالفتح صارت لغة القرآن لغة الدولة ولغة العلم والأدب في إيران ، يستعملها العربي والعجمي في علوم الدين وغيرها . وبقيت زهاء مائتين وخمسين عامًا منفردة بالعلوم والآداب لا تشاركها لغة أخرى الا كتب دينية قليلة كتبها المجوس بالفهلوية تبيبتًا لدينهم ودفاعًا عنه .

وصارت العربية كذلك لغة الخطاب بين المثقفين ، وفي الأمصار الكبيرة ولا سيما في خراسان وغربي ايران .

وفي النصف الثاني من القرن الثالث الهجري شرع الفرس يستقلون عن الخلافة في أرجاء من ايران . وكانت دولهم تعظم على مقدار تأخرها زمانًا وبعدها عن دار الخلافة مكانًا :

نشأت امارة الصفاريين في سجستان شرقي ايران وامتدت شطر المغرب حتى قاربت العراق وبدأت عهدها بالثورة على الخلافة . وقد قرنت الأساطير الفارسية نشوء هذه الدولة بنشوء أبيات من الشعر الفارسي .

ثم قامت فيما وراء النهر وشمال إيران الدولة السامانية وقد انتقل مؤسسوها من ولاة للعباسيين الي ملوك مستقلين يقرون بالطاعة للعباسيين قولاً .

وفي رعاية هذه الدولة التي نشأت في إقليم قصي نشأ الأدب الفارسي وحاولت الفارسية أن تشارك العربية في العلوم والآداب .

فشرع الفرس يترجمون الكتب العربية الي لغتهم كما ترجم العرب من قبل الكتب الفارسية الي العربية فترجم تاريخ الطبري وتفسيره مختصرين .

وشرع الفرس يؤلفون بالفارسية ابتداءً . ككتاب أبي منصور الهروي في الطب .
وشرع الشعراء ينظمون بالفارسية وينبع الرودي السمرقندي أول شعراء
الفرس الكبار أواخر القرن الثالث وأوائل الرابع . وقد ذكرت كتب الأدب
الفارسي ثلاثين شاعراً في عهد بني سامان .

وأما الدولة البويهية التي قامت في غربي إيران سنة ٣٣٠ هـ واستولت على بغداد
بعد أربعة عشر عاماً ودام لها السلطان على دار الخلافة أكثر من مائة سنة
فكانت في سلطان الأدب العربي ونظم معظم أمراءها بالعربية ، وكان من كتابهم
أئمة في الكتابة العربية وحسبكم ابن العميد ، والصاحب بن عباد ، والوزير
المهلب ، وأبو اسحاق الصابي .

ومما يصح به القياس بين اللغتين في دولة البويهيين أن الصاحب مدحه بالعربية
خمسون شاعراً ولم يمدحه بالفارسية إلا شاعران : المنطقي والخسروي .
والدولة الزيارية التي سيطرت على الاقليم الذي بين جبال ألبرز وبحر قزوين ،
وهو الاقليم الذي احتجز عن سائر أقاليم إيران واستعصى على العرب سنين طويلاً
بعد أن فتحوا إيران - أعني اقليم طبرستان فقد تسمى ملوكها وتلقبوا بالأسماء
والألقاب الفارسية مثل : قابوس وكيكاوس .

وقد مدح قابوس صاحب الرسائل العربية المعروفة باسم كمال البلاغة شاعران
من شعراء الفارسية : الخسروي والسرخسي . وألف كيكاوس حفيد قابوس
كتاب «قابوس نامه» بالفارسية .

وأما الدولة الغزنوية فهي دولة تركية النسب وقد امتد سلطانها على إيران
الشرقية والشمالية وبلغت من السطوة ما لم تبلغه دولة قبلها في إيران في العصور
الاسلامية . وكان الأدب الفارسي قد ازدهر فاجتمع حول السلطان محمود بن
سبكتكين كثير من شعراء الفارسية . وإلى محمود أهدى الفردوس الطوسي
كتاب - الشاهنامه - المنظومة التي تضمنت أساطير الفرس وتاريخهم منذ العصور
الخرافية إلى الفتح الاسلامي . وكتب بالفارسية كتب قليلة : كتب البيهقي

الشاعر تاريخ السلطان محمود ، وكتب البيروني كتاب التفهيم في التنجيم بالفارسية والعربية وترجم نصر الله بن عبد الحميد كتاب كالملة ودمنة الى الفارسية .
 وحينما امتد سلطان السلاجقة على إيران في القرن الخامس والسادس ، وكانوا تركاً بداء ، كان الأدب الفارسي استحكم ونضج . وقد عدّ عوفي مؤلف لباب الألباب في تاريخ شعراء الفرس أكثر من مائة شاعر عاشوا في ظلال هذه الدولة .

نشأ الأدب الفارسي الحديث في أواخر القرن الثالث الهجري ونما وترعرع على مر الزمان ، ونبغ الشعراء والكتاب باللغة الفارسية . فكيف كانت مكانة العربية في العلم والأدب بعد أن نشأ لإيران لغة علمية أدبية :
 تختلف أحوال اللغتين في الشعر ، وفي النثر ، وفي كتابة التأليف . أعني في البيان الذي يغلب فيه العاطفة والخيال ، والبيان في الحقائق التي لاشية فيها من العاطفة والخيال ، وما هو وسط بين هذا وذاك .

فأما الشعر فقد أولع به الفرس منذ نشأت لغتهم ، وكثر الشعراء على مر العصور ، ونبغ عظماء الشعراء فيستطيع مؤرخ الأدب أن يعد منذ القرن الرابع الهجري من أئمة الشعر الفارسي من لا يجد نظيرهم كثرة ومكانة من شعراء العربية في إيران ولقي هؤلاء الشعراء من الملوك تأييداً وتشجيعاً فالتفوا حولهم ونظموا لهم القصائد والقصص المطولة .

ولكن الشعر العربي لم يضمحل بظهور الشعر الفارسي بل بقي مزدهراً شائعاً في أرجاء إيران . عد الشعالي في الجزأين الثالث والرابع من كتاب القيمة مائة وواحداً وخمسين شاعراً نظموا بالعربية في عصره . وهؤلاء أكثر من كل من ذكرهم محمد عوفي في لباب الألباب من شعراء الفارسية منذ نشأ الشعر الفارسي الى حين تأليف الكتاب .

وقد ألف في أوائل القرن السابع الهجري وعدد صاحب دمية القصر ثلاثمائة

شاعر بالعربية وسنبن بعد أثر الشعر العربي في هذا الشعر الفارسي الذي زاحمه منذ القرن الرابع كما قدمت .

ويدل على أن إيران بقيت إلى غارات التتر على الأقل ، موطناً رحيباً للشعر العربي أن ثلاثة من كبار شعراء العرب عاشوا فيها ووجدوا مجالاً ومستقراً . وحسبنا أن ينشأ في إيران في القرن الخامس الشاعر القرشي الأموي ، الذي أشاد بمجد العرب وأخلاقهم وأدبهم ، ومثل في شعره طموحهم وإباءهم ، وصور مواطنهم وعاداتهم وبيئاتهم وهو أبو المظفر الأبيوردي المتوفى سنة ٥٠٧ هـ فقد نشأ في أبيورد من خراسان ذنبغ في الشعر هناك وتدد من بعد بين العراق وإيران ومدح خلفاء العباسيين وأمراء العرب من بني صدقة أمراء الحلة وغيرهم ومدح ملوك الدول الأعجمية كذلك . وما يخرج شاعراً كالأبيوردي إلا موطن للأدب العربي خصيب ، وجناب للغة العرب رحيب .

والشاعر الثاني القاضي ناصح الدين الأرجاني ينسب إلى أرجان في إقليم فارس وهو الصقع الجنوبي الغربي من إيران وهو شاعر أنصاري 'يعتد من كبار شعراء العربية ولد سنة ٤٦٠ وتوفي سنة ٥٤٤

وأدل من هذين على تمكن الأدب العربي في إيران حتى القرن السادس الهجري أن أبا اسحاق الغزي الكبي هاجر من بلاد العرب إلى إيران فأمضى النصف الثاني من عمره فيها ومات بها ومدح كثيراً من ملوكها وزوأسائها . ولد الغزي سنة ٤٤١ وتوفي سنة ٥٢٤ .

والنثر يخالف الشعر وقد بقي السبق فيه للعربية إلى غارات التتر سواء في هذه الرسائل الديوانية والرسائل الخاصة المعروفة بالأخوانيات . وقد حاكى الفرس كتاب العرب ولم يدركوا شأوهم .

ولسنا في حاجة إلى بيان مكانة الكتابة العربية في دولة بني بويه ، وحسبنا أن نذكر من وزراء هذه الدولة أبا الفضل بن العميد والصاحب بن عباد .

ولم تكن العربية دون الفارسية فيما وراء النهر في دولة السامانيين . ونجد نفعاً من الأخبار تدل على أن كبار كتاب الدولة كانوا يكتبون بالعربية : مثلاً الاسكافي كاتب نوح بن منصور الساماني كتب حينما هزمت الجيوش السامانية ما كان بن كالي : « وأما ما كان فقد صار كاسمه والسلام » .

وأحمد بن الحسن الهمندي ، وزير للسلطان محمود الغزنوي ، ولابنه مسعود عشرين سنة ، وكان يكتب بالعربية في هذه البقعة النائية . ومن توقيعاته المأثورة ما كتبه جماعة طلبوا أن يحط الخراج عنهم : « الخراج خراج ، دواؤه أدائه » . ومن الدلائل على أن العربية كانت ذات المكانة الأولى في دواوين هذه الأصقاع وإن كانت لغة العامة عجمية أن أحد وزراء الغزنويين اتخذ الفارسية لغة الدواوين ، ولو أن العربية كانت غريبة في تلك الأقطار لوجد هذا قبولاً ، واستمرت الدواوين بالفارسية لغة البلاد . ولكن الوزير أحمد بن حسن الهمندي ردّ الدواوين إلى العربية . ومن الممتع في هذا أن نقرأ ما كتبه في هذا الصدد العتيبي الذي كتب تاريخ محمود بالعربية مسجوعاً كله . قال في كتابه :

« وكان الوزير أبو العباس قليل البضاعة في الصناعة لم يعن بها في سالف الأيام ، ولم يرض بنائه بخدمة الأقلام ، فانتقلت المحادثات مدة أيامه من العربية إلى الفارسية . حتى كسدت سوق البيان ، وبأرت بضاعة الاجادة والاحسان . واستوت درجات العجزة والكفاة ، والتقى الفاضل والمفضول على خطي الموازة . ولما سعدت الوزارة بالشيخ الجليل . . . فجزم على أوشحه ديوانه أن يتفكبا ويتحاشوا الفارسية إلا عن ضرورة من جهل من يكتب اليه وعجزه عن فهم ما يعرب به عليه » .

فهذه حال العربية في أفغانستان في القرن الخامس الهجري .
وأما الرسائل الاخوائية فلم تبلغ الفارسية فيها هذه القرون مبلغ العربية . ولم تنشئ الفارسية كاتباً كبديع الزمان والخوارزمي وابن العميد وأبيه ، صاحب ورشيد الدين الطواط .
م (٣)

وكان البديع والخوازمي يكتبان بالعربية الى أمراء البلاد وأعيانها شرقاً وغرباً كأنهم في بلاد العرب ولولا معرفة المكتوب اليهم العربية وتقبلهم هذه الرسائل بقبول حسن ما كتب كتابها بالعربية .

* *

ومما يبين ما بين اللغتين من صلات في تلك العصور الترجمة من العربية الى الفارسية ، والانشاء باللغتين .

ولم تقتصر الترجمة على الكتب التي ألقت بالعربية قبل أن تكون الفارسية لغة كتابة كالطبري وكليلة ودمنة بل ترجمت كتب وضعت بالعربية بعد ان صارت الفارسية لغة تأليف كتارنج بخاري للرشخي . كتب لنوح بن نصر الساماني سنة ٣٣٢ وترجم الى الفارسية ٥٢٢ . وكتاب اليعيني الذي ألفه النبي للسلطان محمود بالعربية ترجم من بعد الى الفارسية .

وكتب كثير من الأدباء باللغتين شعراً ونثراً وسمي كل منهم ذا اللسانين (دو زبان) وعطاء بن يعقوب له ديوانان عربي وأعجمي . وللبسقي والباخري شعر فارسي ولابن سينا والشيخ سعدي الشيرازي بل بديع الزمان المحدثاني نظم بالفارسية قليلاً . ويقول صاحب المعجم في مماير أشعار العجم وقد ألف في أوائل القرن السابع ان شعراء زمانه يعرفون اللغتين والحق ان معظم شعراء الفرس كانوا يعرفون العربية على اختلاف حظهم منها . وكثير منهم أنشأ بها كثيراً أو قليلاً .

على أن أمر العربية كان يضعف على مر الزمان شيئاً فشيئاً فوُلف كتاب راحة الصدور في تاريخ السلاجقة بروي شعراً عربياً ويقول ان قليلاً في زماننا من يفهم مثل هذا الشعر .

ويقول عوفي في أوائل القرن السابع ان كل مستعرب يعرف الفارسية وليس كل فارسي يعرف العربية وقد ألف كتابه في العروض بالعربية فنظم عليه أدباء زمنه فكتب ما يتعلق بأشعار العجم بالفارسية .

وأما اللغة العلمية لغة التأليف فقد كانت العربية مهيمنة عليها الى غارات التتار ثم شاركت فيها بعد التتار ، وما زال التأليف بها يقل على مر الزمان ولكنه لم ينقطع حتى عصرنا هذا .

وقد قال أبو الريحان البيروني ان الكتاب إذا ألف بالفارسية ذهب بهاؤه ، وقال ان لغته الخوارزمية وان الفارسية والعربية سواء لديه ليست احدهما لغته ولكنه يرى الفارسية لا تصلح للتأليف .

قال : « والى لسان العرب نقلت العلوم من أقطار العالم فازدانت وحلت سيف الاقنعة ، وسرت محاسن اللغة فيها في الشرايين والأوردة .

وقال : والمجود بالعربية أحب الي من المدح بالفارسية وسيعرف مصداق قولي من تأمل كتاب علم قد نقل الى الفارسي كيف ذهب رونقه ، وكسف باله ، واسود وجهه ، وزال الانتفاع به إذ لا تصلح هذه اللغة الا للأخبار الكسروية والأشعار الليلية » .

وقال أبو هلال العسكري في القرن الرابع :

ولا تعرف اليوم علماً جاهلياً ولا اسلامياً الا وأهله عراقيون ومتمربون يكتبون باللفظ العربي واخط العربي .

وإذا نظرنا الى جماعة من كبار المؤلفين كابن سينا ، وابي الريحان البيروني ، والغزالي ، والرازي ، والزوزني والبيضاوي ونصر الدين الطوسي وهم من مؤلفي القرون الرابع ، والخامس ، والسادس ، والسابع وجدنا لغة التأليف عندهم العربية لم يكتبوا بالفارسية إلا كتباً صغيرة لا تقاس بما كتبوا بالعربية .

فابن سينا وتأليفه بالعربية لا يحتاج الى بيان ، كتب بالفارسية دانش نامه علافي لعلاء الدولة كأكبر أمير أصفهان .

والبيروني كتب بالعربية كتبه الغالية وكتب بالفارسية كتباً في التنجيم وكتبه بالعربية أيضاً .

والغزالي لا يعرف له بالفارسية إلا كيمياء السعادة وقد كتبها بالفارسية

لإفهام العامة كما يقول . وكتاب آخر يسمى نصيحة الملوك كتب بالفارسية كذلك .
والرازي له ثلاثة وثلاثون كتاباً منها واحد بالفارسية .
والبيضاوي له كتاب بالفارسية صغير اسمه نظام النواريج ، وسائر مؤلفاته بالعربية .
والطوسي ، وهو من علماء القرن السابع وقد صحب هولاكو ، له زهاء خمسين
كتاباً قليل منها فارسي .

وقد استمرت العربية لغة للتأليف في إيران بعد غارات التتار على ثقلب الغير
بها وتحيف الزمان إياها . ولم يخل عصر من التأليف بها الى عصرنا هذا . وحسبنا
أمثال صدر الدين الشيرازي والسيد الشريف الجرجاني وسعد الدين التفتازاني .

أثر العربية في الفارسية

وهذه اللغة الفارسية التي نشأت وتعرعت في رعاية العربية وكفالتها هي
اللغة الفهلوية التي كانت لسان الدولة ولغة العلم أيام الساسانيين ولكن كتبت
بالخط العربي واشتملت على الفاظ عربية كثيرة . وقد أمدت العربية الفارسية غير
ضئنة . والألفاظ العربية في الفارسية تختلف كثرة وقلة باختلاف الموضوع ،
فهي في الشعر أقل منها في النثر ، وهي في النثر الأدبي أقل منها في لغة التأليف ،
ويجد قارئ النثر الفارسي أحياناً ألفاظاً عربية متوالية ليست للفارسية فيها إلا
التركيب والصلوات . وقد استمر هذا الى يومنا ولا تزال العربية في هذا العصر
تمد الفارسية بألفاظ جديدة الى الألفاظ التي أمدتها بها في العصور الخالية .
وكذلك استعمل شعراء الفرس الأوزان العربية والقوافي ، ولكن تصرفوا
بها بعض التصرف فزادوا في البحور وفي التفعيلات ، والزحافات والعلل ، وافتنوا
في نظام التقفية .

وبقيت الأوزان العربية في معظم أشعارهم وبقيت اصطلاحات العروض والقافية
كلها . ومن العجيب أن شعراء الفرس هجروا الأوزان الشائعة في الشعر العربي .
وأكثرهم من أوزان لم يكثر النظم فيها شعراء العرب . هجروا أوزان الدائرة

الأولى كلها فلم ينظّموا في الطويل والمدبّد والبسيط إلا محاولة بعضهم أن يستكمل الأوزان العربية ، وبين عن قدرته على استيعابها .
وعمدوا الى أبحر الدائرة الرابعة التي فيها المقتضب والمخت والمضارع ، الأبحر التي يندر فيها النظم العربي فأكثره النظم فيها وتفننوا . وشاركوا العرب في الأبحر الأخرى .

وفي هذا برهات على اختلاف مزاج الأمتين ، وتباين أذواقهما في توالي الحركات والسكنات في الأوزان . وعلم البلاغة العربي يسيطر على الفارسية بقواعده وألفاظه . . وكتاب حدائق السمر لرشيد الدين الوطواط لا يختلف عن الكتب العربية إلا بأمثلة فارسية معها أمثلة عربية . .
وأخذ الأدب الفارسي موضوعات الأدب العربي كذلك فهو يستمد من الاسلام وتاريخه ومن تاريخ العرب ، ويزيد موضوعات مستمدة من تاريخ الفرس .
ويمتاز من الأدب العربي امتيازاً واضحاً في موضوعين :

الأول : الشعر الصوفي : فقد ذهب فيه شعراء الفرس مذاهب عجيبة ، وأبانوا عن دقائق النفس الانسانية ، ونظموا المنظومات المطولة كحديقة الحدائق لمجد الدين سنائي ومنطق الطير لفريد الدين العطار ، والمشوي لجلال الدين الرومي ، ومنظومات أخرى يضيق بها العدد .

وما أنحسب أدباً يجاري الأدب الفارسي في هذا الصدد .

والموضوع الثاني القصص : فقد اثن فيه شعراء الفرس بين قصص حمامي مستمد من أساطير الفرس وتاريخهم كالكاشغرية ، وقصص غرامي كقصّة ليلي والمجنون ، وخسرو وشيرين ، وبوشق وزليخاء وهم في هذا لا يملون الإطالة وقل أن تنقص القصة عن خمسة آلاف بيت وكثيراً ما تجاوز عشرة الآلاف . وقد نظم القصة الواحدة شعراء عدة في عصور مختلفة .

الغزالي وزعماء الفلاسفة

- ٢ -

٥ - دراسة بعض المسائل

لنبحث الآن في المسائل الثلاث التي أشرنا إليها في المقال السابق

١ - مسألة المعرفة

مسألة المعرفة هي الأساس الذي يرجع إليه الخلاف بين الغزالي والفلاسفة . فقد كان الفلاسفة يقولون ان المعرفة لا تتم بطريق التجربة ، بل تتم بإشراق الصور من العقل الفعال على العقل الانساني . فالعقل يكون في أول امره عقلاً بالقوة ، ثم يصير عقلاً بالفعل ، وذلك بما يصل اليه من الصور التي تودعها اليه الحواس الظاهرة والباطنة . ولكن هذا الانتقال من القوة الى الفعل لا يتم الا بتأثير العقل الفعال . وتمايز العقول الانسانية بعضها من بعض بمقدار استعدادها للاتصال بالعقل الفعال الذي تتلقى عنه المعرفة . وفي ضوء هذا العقل يستطيع عقلنا ان يدرك الصور الكلية ، وبه يصير الاحساس معرفة .

فأنت ترى ان الفلاسفة قد بنوا المعرفة على العقل . لأن العقل هو الذي يجرد الصور الحسية من اللواحق المشخصة ، وينتزع من الصور المتخيلة صوراً كلية . ولكن الصور المنتزعة من الاحساس والخيال لا تصبح صوراً عقلية الا بتأثير العقل الفعال او كما يقول ابن سينا بنور يفيض عليها من واهب الصور . نعم ان طريقة اكتساب المعرفة عند ابن سينا ترجع الى النظر والقياس اولاً ، ثم الى الحدس ثانياً . ولكن هذا الحدس الذي يشكك عنه ، انما هو حدس عقلي شبيه بالحدس الذي اشار اليه ديكارت وغيره من الفلاسفة العقليين . ومعيار صحة المعاني عنده هو وضوحها بذاتها وخلوها من التناقض .

اما مذهب الغزالي في المعرفة فيختلف عن مذهب الفلاسفة في مبادئه وغاياته لانه قد بنى المعرفة على التجربة والكشف الباطني . ولليقين عنده ثلاث مراتب : اولها ايمان العامة المستند الى الخبر . فهم يصدقون ما يخبرهم به اهل الثقة ، كأن يقال لهم ان فلاناً في الدار ، وثانيها معرفة العلماء التي يصلون اليها بالاستنباط ، فهم قد سمعوه يتكلم فاستنبطوا انه في الدار . غير انه يوجد فوق ذلك مرتبة ثالثة هي يقين العارفين الذين يشهدون الحق دون حجاب . وهم قد دخلوا الدار ورأوا الرجل بأعينهم . والعلوم انما تثبت في القلب بطريق الاستدلال والتعلم ، أو بطريق الوحي والالهام . والغزالي بفضل العلم الذي يحصل في القلب عن طريق الالهام على العلم الذي يحصل فيه عن طريق التعلم . ومن أجل ما في كتاب الأحياء من التشبيهات تشبيه القلب بحوض محفور في الأرض . فاما ان يساق اليه الماء من فوقه بأنهار تفتح فيه ، وأما أن يحفر أسفل الحوض ويرفع منه التراب الى ان يقرب من مستقر الماء الصافي فينفجر الماء من أسفل الحوض . قال الغزالي : « والقلب مثل الحوض ، والعلم مثل الماء . وتكون الحواس الخمس مثل الأنهار . وقد يمكن ان تساق العلوم الى القلب بواسطة انهار الحواس والاعتبار والمشاهدات حتى يمتلئ طلاءً ، ويمكن ان تسد هذه الأنهار بالخلوة والعزلة وغض البصر ، ويعمد الى عمق القلب بتطهيره ، ورفع طبقات الحجب عنه حتى تنفجر بناييع العلم من داخله . فان قلت فكيف ينفجر العلم من ذات القلب وهو خال عنه فاعلم ان هذا من عجائب اصرار القلب ، ولا يسمح بذكره في علم المعاملة بل القدر الذي يمكن ذكره ان حقائق الأشياء مستورة في اللوح المحفوظ ، بل في قلوب الملائكة المقربين . فكما ان المهندس يصور أبنية الدار في بياض ثم يخرجها الى الوجود على وفق تلك النسخة فكذلك فاطر السموات والأرض كتب نسخة العالم من أوله الى آخره في اللوح المحفوظ ، ثم اخرجته الى الوجود على وفق تلك النسخة . والعالم الذي خرج الى الوجود بصورته تتأدى منه صورة اخرى الى الحس والخيال .

فان من ينظر الى السماء والأرض ثم بغض بصره يرى صورة السماء والأرض في خياله حتى كأنه ينظر اليهما . ولو انعدمت السماء والأرض وبقي هو نفسه لوجد صورة السماء والأرض في نفسه كأنه يشاهدهما وينظر اليهما ثم يتأذى من خياله أثر الى القلب . . . والحاصل في القلب موافق للعالم الحاصل في الخيال والحاصل في الخيال موافق للعالم الموجود في نفسه خارجاً من خيال الانسان وقلبه ، والعالم الموجود موافق للنسخة الموجودة في اللوح المحفوظ . فكان للعالم أربع درجات في الوجود : وجود في اللوح المحفوظ ، وهو سابق على وجوده الجسماني ، ويتبعه وجوده الحقيقي ، ويتبع وجوده الحقيقي وجوده الخيالي ، اعني وجود صورته في الخيال ، ويتبع وجوده الخيالي وجوده العقلي اعني وجود صورته في القلب ^(١) . وهذا القول يدل على ان المعرفة تحصل في النفس بطريقتين مختلفتين الأول هو طريق الحواس والاعتبار والمشاهدة . وهو طريق التجربة الخارجية او طريق المعرفة غير المباشرة . والثاني هو طريق القلب وتطهيره ورفع الحجب عنه . وهو طريق التجربة الداخلية المباشرة . وكلا الطريقتين يؤدي الى نفس النتائج ، لأن صورة العالم الخارجي محفوظة في النفس . فاما ان تتوجه النفس الى العالم الخارجي فتأدى اليها المعرفة عن طريق الحواس ، واما ان تتوجه الى ذاتها وتدرك صورة العالم المحفوظة في داخلها ، فتتفجر منها المعرفة . والمعرفة التي تتفجر من داخل القلب اصفى وأدوم ، لا بل هي كما يقول الفزالي اكثر وأغزر . وهذا الرأي شبيه كما ترى برأي (ليبنتز) الذي قال : « يظهر لنا لأول وهلة ان جميع تصوراتنا تأتي من العالم الخارجي بواسطة الحواس وترسم في صفحات النفس الفارغة . ولكننا اذا تمسكنا في التأمل اذركنا ان كل شيء حتى الادراكات والافتعالات انما بأعيننا من داخلنا بعفوية تامة وما نظنه خارجياً او آتياً عن طريق الحواس ان هو الا تبديل في احوالنا الداخلية ^(٢) » .

(١) الفزالي ، احياء علوم الدين الجزء الثاني ، ص ١٧ - ١٨ ، المطبعة العثمانية المصرية - القاهرة ١٩٣٣

(٢) كتاب الالهيات « Théodicée » - ٢٩٦ .

ولكن هذه الادراكات والانفعالات الداخلية هي كما يقول (لينينز) صور ومعارف مطابقة للحقائق الخارجية . وهي لا تنشأ عن تأثير متبادل بين العقل والطبيعة ، بل تنشأ عن توافق قديم بينهما . ومعنى ذلك ان تتابع الادراكات في الجوهر العاقل مطابق لتتابع حوادث الكون وجريانها . فهناك اذن عالمان عالم العقل وعالم الطبيعة . وكل منهما مطابق للآخر في تتابع صورته وجريان حوادثه . وهذا شبيه بقول الغزالي ان صور العالم الحقيقي مطابقة للصور المرسومة في اللوح المحفوظ وموافقة للصور الحاصلة في القلب والخيال وسواء أنوجهت النفس الى العالم الحقيقي أم غضت البصر عنه وتوجهت الى داخلها ، فان المعرفة التي تحصل لها واحدة . وحقيقة القول ان القلب في نظر الغزالي مستمد لأن نتجلى فيه حقائق العلوم مباشرة وذلك بالتعرض للنفحات الالهية . قال الغزالي : « ان العلوم ليست ضرورية وانما تحصل في القلب في بعض الأحوال ، فتارة تهجم على القلب كأنه التي فيه من حيث لا يدري ، وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم فالذي يحصل بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى الهاماً ، والذي يحصل بالاستدلال يسمى اعتباراً واستبصاراً » (١) .

بتضح من هذا القول ان الغزالي يسمي الطريق الأول الذي نحصل به على المعرفة طريق الاعتبار والاستبصار ، ويسمي الطريق الثاني بطريق الالهام . وفوق طريق الالهام درجة من المعرفة يعرف معها المدرك كيف حصل له ذلك الالهام ومن أين حصل وتسمى هذه المعرفة وحياً . وهي مما يختص به الأنبياء ، اما الالهام فيختص به الأولياء . والعلم المكتسب بالحاصل بطريق الاعتبار والاستبصار ولا استدلال انما يختص به العلماء .

ويرى الغزالي ان الفلاسفة اقتصروا في أصل المعرفة على طريق الاستدلال والتعلم وأهملوا العلم الحاصل في النفس عن طريق الوحي والالهام . انهم يفتنون

انفسهم في تجريد المعاني الكلية من الكيفيات الجزئية ، مع ان المعاني الكلية المجردة أقل من أن تستنفد كل ما نشعر به في نفوسنا . واحباب الله يبلغون من الرياضة درجة يتلقون بها علماً لدنياً لا يطلع عليه العلماء الا بالاستنباط العقلي ، ولا يرتقي الى ذلك المقام الرفيع الا قليل من الناس .

ما هي قيمة هذه المعرفة التي تحصل لنا بأحد هذين الطريقين وما هي حدودها ؟ لقد ذكر لنا الغزالي في كتاب المنقذ من الضلال صفة المعرفة التي يريد الحصول عليها ، فقال ان مطلوبه هو العلم بحقائق الأمور ، لذلك ظهر له « ان العلم اليقيني هو الذي يتكشف فيه المعلوم انكشافاً لا يبقى معه ريب » ، ولا يقارنه امكان الغلط والوهم ، ولا يتسع القلب لتقدير ذلك ، بل الأمان من الخطأ ينبغي ان يكون مقارنةً لليقين مقارنة لو تحدى باظهار بطلانه مثلاً من يقلب الحجر ذهباً والعصا ثعباناً لم يورث ذلك شكاً وانكاراً » (١)

وفي سبيل الحصول على هذه المعرفة اليقينية شك الغزالي في العلم الموروث ، ثم شك في الحسيات ، ثم شك في الأوليات العقلية ، ولم تعد نفسه الى الصحة والاعتدال الا بنور قدسه الله في الصدر . وهذا النور كما يقول هو مفتاح اكثر العلوم . وهذا يدل على ان الغزالي لم يكن ريبياً ، بل كان شككاً فلسفياً ، وهو واسطة للوصول الى اليقين . فقد كانت الأوليات العقلية موثوقاً بها في الأصل ، ثم لما عادت النفس الى الصحة والاعتدال رجعت الأوليات موثوقاً بها أيضاً على أمن وبقين . ولولا النور الالهي الذي قذف في الصدر لم ينقذ الغزالي نفسه من غياهب الشك الذي غرق فيه . ولكن هذا الجود الالهي لم يكن الا مفتاحاً لليقين ، ولولا استعداد العقل لقبوله لما بدد نوره ظلمات الشك . فالعقل قادر اذن على الوصول الى الحقيقة ، واذا وقع في الشك استطاع ان ينقذ نفسه منه بالتعرض للالطاف الالهية . على ان الحقائق التي يتوصل اليها العقل بنفسه

(١) المنقذ من الضلال . طبعة دمشق (مكتب النهر العربي) ، الطبعة الثانية ٦٩

لا تشمل كل شيء ، وهي تختلف بحسب الطريق الذي نسلكه في الوصول الى المعرفة . فاذا كان الطريق الذي سلكناه هو طريق الاستدلال كانت معرفتنا مقصورة على امور التجربة وما يتصل بها ، واذا كانت طريق معرفتنا هو الوحي والالهام امكننا الوصول الى معرفة الأمور الالهية . وهذا النوع الأخير من المعرفة هو التعليم الذي جاءنا به الأنبياء . فقد علمونا أشياء كثيرة منها ما هو داخل في نطاق الاستدلال العقلي ، ومنها ما هو خارج عن نطاقه . ولولاه لما أدركنا حقيقة الأمور الالهية .

فالفزالي قد حدد اذن نطاق الاستدلال العقلي المجرد عن الوحي ، وجعله قاصراً على ادراك أمور التجربة . وجعل الأمور الالهية خارجة عن نطاقه . وهو في ذلك قريب من ابن خلدون .

أما الفلاسفة فقد آمنوا بسلطان العقل ، وجعلوه قادراً على حل جميع المشكلات . وعدم وصول التعليم اليهم عن طريق الأنبياء لا يمنعهم من الوصول الى الحقائق الأبدية . أما الفزالي فيرى ان محاولة معرفة الأمور الالهية بطريق العقل المجرد عن الوحي والالهام فضول وطمع في غير مطمع ، لأن هذه الأمور كما صرح غير مرة ، ليست مما تنسج له القوى البشرية . ولا تنال بنظر العقل ، بل تنال بطريقة أخرى للاطلاع ، هي طريقة الكشف الباطني والشعور الوجداني ، وقد اقتبس الفزالي هذا النوع من المعرفة الوجدانية من الطريقة الصوفية فجعل الكشف الباطني اساس اليقين الديني ومفتاح العلوم .

ولا يشترط في الحق عنده ان يكون واضحاً بنفسه مؤيداً بالبرهان العقلي بحسب ، بل يجب ايضاً ان يكون موافقاً للكتاب والسنة . وهكذا تنقسم المعرفة عند الفزالي الى قسمين : معرفة حسية ومعرفة دينية . فالعقل والتجربة هما اساس المعرفة الحسية ، اما المعرفة الدينية فتتركز على الكشف الباطني . وهذا بوضوح لنا السبب في حلة الفزالي على الفلاسفة ، واظهاره تناقض مذهبهم في ايضاح

الأمور الالهية ، واستنباطهم اياها على طريقة العلماء . فهم لم يكتفوا بالخبر كما نقله اليهم الأنبياء ، ولا ارتقوا في المعارف الدنية الى المشاهدة والمكاشفة ، ولكنهم ارادوا ان يزنوا حقيقة الاله والنفس بيزان العقل ، وان يستنبطوا بهذا الميزان احكاماً لا يمكن الوصول اليها الا عن طريق الوحي والالهام . فوقعوا فيما وقعوا فيه من التوهم والضللال .

٢ - مسألة العالم : الزمان والمكان

والمسألة الثانية التي نريد ذكرها على سبيل المثال هي مسألة العالم والزمان والمكان . وفي مسألة كلية تشتمل على عدة مسائل ، كقولنا هل العالم ازل أم حادث ، وهل هو أبدي أم فان . واذا كان ازلياً هل يحتاج الى صانع ، وما البرهان على احتياجه الى صانع واحد . لماذا يستحيل على العقل ان يتصور الهين قديمين . فالفلاسفة يقولون : ان العالم كرة متناهية في الامتداد ، ولكنهم يقولون في الوقت نفسه إنها قديمة لا نهاية لها في الزمان ، إنها بالرغم من قدمها محتاجة الى صانع . ولا مجال الآن لتفصيل القول في هذا كله ، وانما نريد ان نبين ان الغزالي لم يبطل أدلة الفلاسفة على قدم العالم وأزليته ، الا ليحدد لنا نطاق الاستدلال العقلي المجرد عن الوحي ، ويبين عجزه عن ادراك مسائل ما بعد الطبيعة . فهو قد اورد أدلة الفلاسفة على قدم العالم ثم بين تناقضها ، وأورد بلاضافة الى ذلك أدلة مختلفة على حدوث العالم ، وجعل مسألة عدم تنامي الزمان ، مماثلة لمسألة عدم تنامي المكان . فاذا كنا لا نستطيع ان نتصور للزمان مبدأ . أو نهاية ، فكذلك لا نقدر ان نتصور للمكان حدوداً . ولو قيل ان المكان يتعلق بالحس الظاهر ، وان الزمان يتعلق بالحس الباطن لما تغير من المسألة شيء ، لأننا مع هذا لا نخرج من الحسوس . فالبعد المكاني تابع للجسم والبعد الزماني تابع للحركة . وكما اننا نستطيع ان نقيم الدليل على تنامي أقطار الجسم ، فكذلك يمكننا ان نبرهن على تنامي الحركة من طرفيها . وهذا كله يدل على ان الزمان والمكان اما مجعولة

عن علاقات بين تصوراتنا ، فهما اذن نسبيان . وهذا يقرب رأي الغزالي من رأي (كانت) الذي يقول ان الزمان والمكان هما صورتان سابقتان للتجربة نستعين بهما على ادراك العالم الخارجي . والفرق بين (الغزالي) و (كانت) في ذلك هو ان الغزالي يقول ان الزمان والمكان هما علاقات بين التصورات ، تتخلق بخلقها أو بالأحرى يخلقها الله بين الصور الذهنية في عقولنا ، أما (كانت) فيقول ان مقولتي الزمان والمكان هما صورتان من خلق العقل يستخرجها من داخله وينشرهما ليرتب فيهما ظواهر الطبيعة ، ويؤلف منها سلاسل منظمة . ولكن (كانت) لم لم يوضح لنا كيف تولدت هذه المقولات من العقل ، فهل هي مثل مخلدة ، أم هي اشراق إلهي . انك لا تجد لهذه المسألة في فلسفة (كانت) جواباً شافياً ، أما الغزالي فقد تجنب الشبهة بارجاع الزمان والمكان الى تصورات ذهنية خلقها الله في عقولنا . وفي تقرير الغزالي لحجة الفلاسفة ، على قدم العالم ، وابطالها دليل آخر على مشابهته (لكانت) . اننا اذا قلنا مع الغزالي ان العالم حادث ورد علينا اعتراض الفلاسفة وهو قولهم يستحيل صدور حادث من قديم . لأن الشيء لا يمكن ان ينتج الا مثله . واذا قلنا مع الفلاسفة ان العالم قديم ورد علينا اعتراض الغزالي ، وهو قوله ان في العالم حوادث ، ولها أسباب ، ولا يمكن ان تستند الحوادث الى الحوادث الى غير نهاية ، ولو كان ذلك ممكناً لاستغنيانا عن الاعتراف بالصانع واذا كانت الحوادث لها طرف ينتهي اليه تسلسلها ، فيكون ذلك الطرف هو القديم ، فلا بد اذن على أصل الفلاسفة انفسهم من تجويز صدور حادث من قديم . وهناك أدلة أخرى لكل من هذين الرأيين المتضادين تنفرع بعضها من بعض ، فتشبهك وتعمد وتزبد الأمر اشتباهاً . وهي كلها تدل على عجز العقل عن ادراك هذه المسائل ، لانها من طور فوق طوره . وتذكرنا بتناقضات العقل المحض التي جاء بها كانت لاثبات عجز العقل عن ادراك كنه مسائل ما بعد الطبيعة . فمن مناقضات العقل المحض قضية تنامي العالم في الزمان والمكان وتقيضها . فالأدلة التي جاء بها كانت للبرهان على هذه القضية وتقيضها لا تختلف كثيراً عن الأدلة

التي جاء بها الغزالي ، على لسان الفلاسفة ، لاثبات قضيتهم من جهة ، ولاظهار تناقضها من جهة أخرى . ومن تعمق في درس تهافت الغزالي وتهافت ابن رشد استطاع ان يجد فيها بذوراً لمتناقضات (كانت) الاخرى كمتناقضة تركيب الجوهر من اجزاء بسيطة وعدم تركيبه ، ومتناقضة السببية والحرية . ومتناقضة وجود الموجود الواجب وعدم وجوده ، حتى ان الغزالي نفسه يقول عند الكلام عن ابدية العالم ، ان العالم يجوز أن يبقى ، وان يفتي ، ولا ترجيع عنده لأحد هذين التقيضين على الآخر إلا بالرجوع الى الشرع لا الى العقل .

٣ - مسألة السببية

والمسألة الأخيرة التي نريد ذكرها على سبيل المثال هي مسألة السببية . فقد كان الفلاسفة يفرقون بين فعل الله وفعل العقول المريدة وفعل النفس والطبيعة والاتفاق . ولكن الغزالي يرى انه لا يوجد الا فعل واحد وهو فعل الموجود المريد . وهو ينكر فعل الطبيعة انكاراً تاماً . لأننا لا نستطيع ان نرد هذا الفعل الى مجرد علاقة زمانية بين شيئين . ولا شك اننا نجد مثيلاً لهذه الآراء عند المتكلمين السابقين . ولكن جرأة الغزالي على انكار الضرورة العقلية لقانون السببية ، قد فاقت كل ما ألفناه حتى الآن ، من الاقدام على التهديم . ومن السهل علينا ان نلخص رأي الغزالي في مسألة السببية بايراد العبارة الآتية : قال الغزالي « ان الاقتران بين ما يعتقد في العادة سبباً وما يعتقد مسبباً ليس ضرورياً عندنا . بل كل شيئين ليس هذا ذاك ولا ذاك هذا ، ولا اثبات احدهما متضمن لاثبات الآخر ولا نفيه متضمن لنفي الآخر . فليس من ضرورة وجود احدهما وجود الآخر ، ولا من ضرورة عدم احدهما عدم الآخر ، مثل الري والشرب ، والشبع والأكل ، والشفاء وشرب الدواء . وهم جراء الى كل المشاهدات من المقررات في الطب والنجوم والصناعات والحرف ، وان اقترانها لما سبق من تقدير الله سبحانه خلقها على التوافق ، لا لكونها ضرورية في نفسها » . وقال ايضاً :

«وليس لم دليل إلا مشاهدة حصول الاحتراق عند ملاقة النار» والمشاهدة تدل على الحصول عنده، ولا تدل على الحصول به وأنه لا علة سواء». فنحن نرى ظاهرة معينة تعقب ظاهرة أخرى معينة، فنسمي الأولى معلولاً والثانية علة. أما كيف تحدث العلة معلولها فهذا سر لا يطلعنا عليه الحس، ولا ندركه بالعقل. ويجرد اعتيادنا مشاهدة التعاقب بين ظاهرتين لا يسمح لنا بأن نقول إن الظاهرة الأولى علة الظاهرة الثانية. فالغزالي ينكر إذن الضرورة العقلية في مبدأ السببية، ويعلن بجرأة: أننا لا نعرف فعل الأشياء الطبيعية بعضها في بعض وليس في الفلاسفة القدماء والمحدثين من يشبهه في جرأته هذه إلا (داود هيوم) الذي أنكر أيضاً ارتباط العلة بالمعلول ارتباطاً ضرورياً. فقال إن كل ما يراه الإنسان بجواسه هو ظاهرتان متعاقبتان. وليس هذا التابع دليلاً على السببية، ولا يمكن أن يُعلم منه أن الحادثة الأولى علة الحادثة الثانية. والعادة وحدها كما يقول (هيوم) هي التي أوحت إلى الإنسان بهذه النتيجة، إذ توم أنه ما دامت هاتان الحادتان قد ارتبطتا في الماضي، فلا بد أن ترتبطا لذلك في القباب المقبلة. واذن ففكرة السببية ذاتية محضة، وهي خدعة من الخيال ليس لها وجود إلا في العقل الذي يدركها. وإذا قال قائل إن رفع الأسباب مبطل للعلم، وإن ذلك يؤدي إلى قلب الكتاب حيواناً والعصا ثعباناً قال الغزالي إن الله تعالى خلق لنا علماً بأنه لم يفعل هذه الممكنات، وهو لم يقل إن هذه الأمور واجبة، بل هي ممكنة يجوز أن تقع ويجوز أن لا تقع. واستمرار العادة بها مرة بعد أخرى يُرسخ في أذهاننا جريانها وفق العادة الماضية. وفي هذا القول إيضاح كاف للأسباب التي حملت الغزالي على إنكار السببية. فهو قد أنكر السببية لترك باب المعجزات مفتوحاً. فعلق الأسباب والأفعال كلها بإرادة الله. فالشمس عنده ليست علة الضوء، والدواء ليس علة الشفاء، والنار ليست علة الاحتراق، بل الفاعل الحقيقي هو الله. فانه قد خلق هذه الظواهر، بعضها بعد بعض على

النساق ، لا تكونها ضرورية في نفسها ، ولكن لغاية تجعل حكمتها . وفعل الله لا ينقطع ، بل هو يتجدد في كل وقت ، فيربط اذا شاء ظاهرة بظاهرة ، وحركة بحركة ويقطع اذا شاء هذا الارتباط . وهذا قريب من رأي (ديكارت) الذي قال ان الله يخلق العالم في كل آن . ومن رأي (مالبرانش) الذي زعم ان الله هو المنفذ المباشر لكل فعل من افعال الانسان ، لا بل هو العلة الحقيقية في ارتباط الظواهر بعضها ببعض . وبديهي ان السبب في تعليق الأسباب والمسببات بارادة الله ، انما يرجع الى العقيدة الدينية . ولولا حرص الغزالي على اعطاء الله جميع الصفات التي تعلمها من الشرع لما انكر الضرورة العقلية في قانون السببية . فهو قد أرجع هذا القانون الى الاعتياد تحلصاً من انكار المعجزات ، وجعل الطبيعة مسخرة لله تعالى ، لا تعمل بنفسها ، بل هي مستعملة من جهة ناظرها . فالله تعالى وحده هو السبب الحقيقي لكل شيء ، والسببية الحقيقية ترجع الى علاقة ارادية بينه وبين العالم . اما ارتباط الأسباب والمسببات الطبيعية بعضها ببعض ، فلا قيمة له بنفسه ، ولا معنى له الا اذا ارتكز على ارادة الله .

٦ - النتيجة

هذه أمثلة سريعة تبين لنا موقف الغزالي من فلسفة زمانه . فقد كان الفلاسفة يعتقدون ان العقل قادر على الاحاطة بكل شيء ، فبين لم الغزالي ان نطاق العقل مقصور على ادراك أمور التجربة . وكانوا يعتقدون ان العالم قديم فالزمهم الغزالي بأن العالم حادث ، وكانوا يقولون بارتباط الأسباب والمسببات ارتباطاً ضرورياً فأثبت لهم الغزالي ان السبب الحقيقي هو الله ، وان الله هو المريد بارادة قديمة . وانه لا فاعل سواه . وما ذهب الغزالي الى ذلك كله الا ليحافظ على العقائد ويذب عن حياض الدين . فهاجم الفلاسفة مهاجمة عنيفة ، واهتدى في أثناء ذلك الى آراء جديدة لا نجد لها عند (ديكارت) و (مالبرانش) و (كانت) و (هيوم) من فلاسفة العصور الحديثة . ففلسفة الغزالي هي بهذا المعنى فلسفة دينية

أو فلسفة مثالية شخصية أما فلسفة المشائين فهي فلسفة عقلية . والغزالي قريب من ابن خلدون في قوة الابتكار ، وهو أكثر فلاسفة العرب تحرراً من سيطرة أرسطو ، ولكنه لم يتحرر من سيطرة أرسطو لا يستسلم لدواعي القلب ، وبلجأ الى أحضان الدين . وعندما كان لرده على الفلاسفة أثر عميق في مصير الفلسفة في الشرق . فلم يبق أحد من تلاميذ ابن سينا لرد عليه فتداعى بناء الفلسفة المشائية وتفرقت عناصرها وتلقفها رجال الدين وصبغوها بألوان العقائد ، أما في الأندلس فلم يكن حظ الغزالي في أول أمره أحسن من حظ الفلاسفة ، فأعرض الناس عن كتبه ، وأحرقوها كما أحرقوا كتب الفلسفة . قال ابن طمبلوس :

« ولما امتدت الأيام وصلت الى هذه الجزيرة كتب ابني حامد الغزالي ، فقرعت اسماع الناس بأشياء لم يألّفوها ولا عرفوها ، وكلامٌ خرج به عن معتادهم من مسائل الصوفية وغيرهم من سائر الطوائف الذين لم يعتدّ أهل الأندلس مناظرتهم ولا محاورتهم ، فبعدت عن قبوله أذهانهم ، ونفرت عنه نفوسهم ، وقالوا ان كان في الدنيا كفر وزندقة ، فهذا الذي في كتب الغزالي هو الكفر والزندقة ، وأجمعوا على ذلك واجتمعوا للأمر إذ ذاك ، وحملوه على أن بأمر بحرق هذه الكتب المنسوبة الى الضلال ، بزعمهم ، وعزموا عليه في ذلك حتى أجابهم الى ما سألوه منه ، فأحرقت كتب الغزالي وعم لا يعرفون ما فيها ، وخاطب الأمير إذ ذاك جميع أهل مملكته بأمرهم بحرقها ، ويعلمهم أنه هو الذي أدى اليه نظر العلماء ، وقرئت مخاطبته على المنابر ، وشنع الأمر بذلك تشنيعاً عظيماً . وامتنع من كان عنده منها كتاب ، وخاف كل انسان على نفسه أن يرمى بأنه قرأ منها كتاباً أو اقتناه ، وكان في ذلك من الوعيد ما لا مزيد عليه . . . ثم لم تكن تمتد الأيام الا قليلاً حتى جاء الله بالامام المهدي رضي الله عنه ، فبان به للناس ما كانوا قد تحيروا فيه ، وندب الناس الى قراءة كتب الغزالي رحمه الله ، وعرف من مذهبه انه يوافق ، فأخذ الناس في قراءتها وأعجبوا بها ، وبما رأوا

فيها من جودة النظام والترتيب الذي لم يروا مثله قط في تأليف ، ولم يبق في هذه الجهات من لم يغلب عليه حب كذب الغزالي الا من غلب عليه افراط الجود ، من نخلة المقلدين ، فصارت قراءتها شرعاً وديناً بعد ان كانت كفراً وزندقة^(١) . فالناس في الأندلس قد عاملوا الغزالي بما عامل به الفلاسفة في الشرق فكفروه في أول أمرهم كما كفر الفلاسفة ، وبدعوه كما بدعهم . ثم لما حى كتيبه أمير راجت بضاعتها وانتشرت . ولم يوفق ابن رشد رغم حملته على الغزالي في كتاب تهافت التهافت الى منع الفلسفة من الانقراض ، فقد اتهم الغزالي بأنه انما كفر الفلاسفة ارضاء للعامة ، وسبقه ابن الطفيل الى ذلك فقال ان الغزالي يربط في موضع ويحل في آخر ، ويكفر بأشياء ثم ينتحلها . ومما يكن من أمرفات العامة قد أحرقوا كتب ابن رشد كما أحرقوا كتب الغزالي ، واعراضهم عن كتب الغزالي في أول الأمر ثم استحسانهم اياها يدل على ما جرى اليه أمرهم ، في كل قديم وحديث . فهم ينكرون أولاً ما يألفونه ويستحسنونه آخرأ . ولو لم يجب مصباح الحضارة العربية تحت تأثير العناصر الأجنبية التي سيطرت على الاسلام لأدنى تهالك الناس في استحسان آراء الغزالي الى ظهور مفكر جديد بعده ، لا يكفي يرد اعتراضاته على مذهب أرسطو كما فعل ابن رشد ، بل يرجع الى أصول مذهبه الصوفي وبفندها ، ويستبدل بها غيرها . إن قانون التضاد الذي اشرنا اليه سابقاً لا يعمل عمله في تطور الأفكار الا اذا كانت الأفكار حرة طليقة . فاذا انطلقت الأفكار في فضاء الحرية دعا بعضها بعضاً . ولكنها اذا حبست في طبقات من حجب التقليد والتعصب الأعمى نضب ماؤها وانطفأ نورها .

جميل صليبا

(١) ابن طلوس ، كتاب المدخل لصناعة النطق ، مجرط ، ١٩١٦ ، ص ١١ - ١٢

آل بكنتكين - مظفر الدين كوكبري

أو

امارة اربل في عهدهم

(١٥٢٢ - ١٦٣٠ هـ)

- ٢ -

٤ - نواب

لا تظهر ادارة زين الدين علي كوجك واضحة في اربل ، وانما تنعين بذكر نوابه ، وما قاموا به من أعمال ، فلا ريب أنهم تابعون لأمره ، منقادون لتوجيهه . وهو في الحقيقة المؤسس لهذه الامارة ، كانت اقطاعه ، فتمكن أخلافه فيها . ولا يمت بنسب الى الدولة الزنكية ، وانما هو من ممالك آق سنقر والد مؤسسها ، وقد أرست ادارته الدولة والأمة . وكان قد ولي اربل كثيرون ، فلم يعرف لهم اسم ، ولكنه ذاع صيته ، وانتشر خبره . فقام بما يمكن القيام به ، فعرفت اربل بعد ان كانت خاملة مهملة . فقضى آخر أيامه فيها . وكان فيها مرقد الأخير . وهؤلاء نوابه :

١ - مرفتكين الزبيقي نائب اربل :

كان زين الدين علي كوجك منصلاً بالموصل اتصالاً غير منفك ، فيعين نواباً عنه في اربل . وان المترجم أحدهم . كان أرمنيًا فأسلم ، وربي تربية صالحة فأعنته سيده ، وتقدم عنده ، واعتمد عليه في كثير من أموره ، واستنابه في اربل من تاريخ فتحها سنة ١٥٢٢ هـ .

وللتربية الاسلامية أثرها فيه ، فكان من الأخيار ، وادارته قوية ، أرست الأهلين كما كانت أعمال سيده كذلك . ومن أعماله المبرورة :

١ - بنى مساجد كثيرة في اربل وغيرها .

٢ - بنى مدرسة القلعة سنة ٥٥٣ هـ .

٣ - بنى سور مدينة فيد التي في طريق مكة من جهة بغداد .

أثر آثاراً صالحة أمثال ما ذكر . وكل ما فعله من ماله . ولا شك انه تمشى ورغبة زين الدين وظهرت مكانة زين الدين بنائيه المذكور .
توفي في شهر رمضان سنة ٥٥٩ هـ (١) .

٢ - أبو منصور مجاهد الدين قائماز الزبني (نائب اربل) :

هو ابن عبد الله الملقب بمجاهد الدين الخادم . كان عتيق زين الدين علي كوجك ، وأصله من سجستان ، أخذ صغيراً ، وكان أبيض اللون ، نسب الى زين الدين فقيل (الزبني) . وكانت محافل النجبة لاثمة عليه ، فقدمه معتقه وجعله أتابك أولاده ، وفوض اليه أمور اربل نيابة عنه في ٥ رمضان سنة ٥٥٩ هـ - ١١٦٤ م أي صار نائب اربل اثر وفاة سرفتكين مباشرة وبعد وفاة زين الدين علي كوجك سنة ٥٦٣ هـ . ١١٦٨ م خلفه ابنه مظفر الدين كوكبري فكان نائبه . ثم خلع مظفر الدين من الامارة ، وولي أخوه الأصغر زين الدين يوسف ابنالكين ، فكان نائبه ايضاً . ودأب الى سنة ٥٧١ هـ . وفي هذا التاريخ انتقل الى الموصل ، وتولى أمورها في ذي الحجة سنة ٥٧١ هـ - ١١٧٦ م ، صار نائب الموصل في دولة الأتابكة ، فراسل الملوك وراسلوه ، وكان يبلغ منهم بكتبه ما لم يبلغ سواه . وكان منشي (محمد الدين ابن الأثير) ، فوض اليه الأتابك سيف الدين غازي بن مودود (٥٦٥ هـ - ٥٧١ هـ) الحكم في بلاده ، لما رآه من اخلاصه وحسن مقاصده ، واعتمد عليه في جميع أحواله .

ومن المهم ذكره هنا ان مجاهد الدين هذا كان يحمل أكثر أموال اربل أيام نيابته . بقدها الى الأتابك . وبهذا تقرب الى أتابكة الموصل ، وجلب النفرة

والنقمة عليه من الاربلين . ومن جهة أخرى انه أثر اثاراً جميلة في الموصل ، ولم يكن لاربل نصب منها .

وفي أيام الأتابك عز الدين مسعود (٥٥٧٦ - ٥٨٩) قبض عليه في جمادى الأولى سنة ٥٥٧٩ - ١١٨٣ م وبقي مقبوضاً عليه عشرة أشهر ، ثم أطلقه وأعادته الى ما كان عليه ^(١) . وتوفي في ربيع الأول سنة ٥٩٥ - ١١٩٩ م .

هذا . ولما كان انتقاله الى الموصل سنة ٥٧١ هـ فهذا بعد مبدأ تولي أبي المظفر زين الدين يوسف ابن التكنين الأمور بنفسه ، وقيامه بأعباء الحكم مباشرة . وقد علمنا أن نيابة مجاهد الدين قايماز بدأت من وفاة منرفتكنين الزيني ، ودامت الى التاريخ المذكور . وقد انتقل الى الموصل . وكان في أيام زين الدين علي كوجك قد ظهر بمظهر المخلص ، وبعد وفاته استبد بالحكم الا انه أخلص للأتابكة حتى صار نائب الموصل . وفي اربل حدثت بينه وبين زين الدين يوسف مشادة ، كما ان فعلته مع كوكبري غير مجهولة .

قال ابن الأثير في الكامل : « كان عاقلاً أدبياً خيراً فاضلاً يعرف الفقه على مذهب أبي حنيفة ويحفظ من التاريخ والأشعار والحكايات شيئاً كثيراً . » اهـ ^(٢) وتفصيل حياته في أتابكة الموصل ، وفي الكامل ، وفي كتاب الروضتين وابن خلكان ومؤلفات عديدة .

٥ - امارة مظفر الدين كوكبري الاولى

هذه الامارة قصيرة الأجل ، قليلة المدة . وكان أبو منصور قايماز رضى سيده زين الدين علي كوجك حتى نال نيابة اربل ، وجعله أتابك أولاده ، وبعد وفاته تمكن من نزع الامارة من ابنه كوكبري . قال ابن خلكان في وفاته : « لما توفي زين الدين علي كوجك ولي موضعه ولده مظفر الدين كوكبري ،

١ : الكامل لابن الأثير ج ١ ص ٣٣ وهو الصواب بخلاف ما ذكره ابن خلكان

ج ١ ص ٩٠٩ . وهناك ترجمة . (٢) : الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٩٠٩ وهناك تفصيل حياته

وعمره ١٤ سنة وكان أتابكة مجاهد الدين قايماز ، فأقام مدة ، ثم تعصب مجاهد الدين عليه ، وكتب محضراً انه ليس أهلاً لذلك ، وشاور الديوان العزيز سيف أمره واعتقله ، وأقام أخاه زين الدين أبا المظفر يوسف مكانه ، وكان أصغر منه ، ثم أخرج مظفر الدين من البلاد ، فتوجه الى بغداد ، فلم يحصل له بها مقصوده ، فانتقل الى الموصل ومالكها يومئذ سيف الدين غازي بن مودود . . . ثم اتصل بخدمة السلطان صلاح الدين وحظي عنده الخ « ١ » (١) .

ومن هذا نعلم ان قايماز كان قد تحامل عليه بل تعصب وان ذهب الى الموصل يوافق أيام سيف الدين غازي بن مودود (٥٦٥ هـ - ٥٧٦ هـ) أي انه من حين علم بالأتابك الجديد مال اليه مستنصراً به بعد ان لم يتل قبولاً من بغداد . وقال ابن الأثير في كامله : « ولي - قايماز - اربل سنة ٥٥٩ هـ فلما مات زين الدين طي كوجك سنة ٥٦٣ هـ بقي هو الحاكم فيها ، ومعه من يختار من أولاد زين الدين ليس لواحد منهم معه حكم » . « ١ » (٢)

ومن هذا نعلم أن قايماز قد تحامل عليه ، وأهانته بالحبس ، وطرده ، فذهب الى بغداد تخاب مسماه ، ولما سمع بأن سيف الدين غازي بن مودود قد صار أتابكاً مال اليه مستنصراً به بعد ان خذل من دار الخلافة وكان يظن ان الخليفة يتخذ وسيلة للتدخل في أمور اربل ، فلم ينجب سيف الدين أمه . . .

٦ - حياة مظفر الدين كوكبري خارج اربل

ان طرد مظفر الدين من اربل بعد حبسه وأهانته وتعصب مجاهد الدين قايماز عليه لم يفل من عزمه ، فيضي الى دار الخلافة ، ثم الى الموصل الى الأتابك سيف الدين غازي . وكان قد ولي الموصل بعد الحادث الذي جرى عليه ، فاتخذ وسيلة للذهاب اليه . وهذا الأتابك لم يرده خائباً ، واقطعه حراف . ودامت أمارته عليها مدة . وهو تابع للأتابكة متقاد لا وأصرم .

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ٦٢٠ طبعه بولاق . (٢) السكالي لابن الانبرج ص ١٢ ص ٦٢ .

وفي سنة ٥٧١ صار مجاهد الدين قائماز نائب الموصل ، وولي أمر الأتابكة بالنيابة ، فكان ذلك داعية التذمر من ادارة الأتابكة لما كان بينه وبين مجاهد الدين من العداوة والنفرة من معاملته .

ولم يتعرض المؤرخون لذكره الا قليلاً . وكان أهل الاقطاع لا يذكرون حتى يظهر ما يستوجب . كأن يقوم بالخدمات المطلوبة بلا تردد . ومن أهم الحوادث ان المشادة بين الأتابكة وبين السلطان صلاح الدين قد بلغت منتهاها ، في شوال سنة ٥٧١ هـ - ١١٧٦ م جرى مصاف بينهما ، فانكسرت ميسرة السلطان صلاح الدين بمظفر الدين كوكبري ، وكان مظفر الدين في هذه المعركة في ميمنة الأتابك سيف الدين ، فانتصر من جهته . ولما رأى السلطان صلاح الدين تكون الخطر حمل بنفسه وجازف بقوته ، فانكسر سيف الدين ومن معه كسرة هائلة ، وتركوا أنقاهم ، وخيامهم وما نجحت المفاوضات قبل هذه المعركة في أمر الصلح لتتند سيف الدين وأمله في القضاء على صلاح الدين ، اذ انه في حالته لم يتحمل انتصارات السلطان صلاح الدين ، فخذل خذلاناً عظيماً وكانت هذه الواقعة قاصمة الظهر . والى هذه الأيام كان مظفر الدين موالياً للأتابكة ، ومثله زين الدين يوسف أخوه . ولكنه بثولي مجاهد الدين قائماز الأمر في هذه السنة (نيابة الموصل) ، وتسلمه على دولة الأتابكة لم يبد شيئاً ، كتم غيظه ، ولم يجاهر بالخلاف عليه وبعد وفاة الملك الصالح بن نور الدين الشهيد في ١٣ رجب سنة ٥٧٧ حدث ما حدث بين الأتابكة وصلاح الدين وكان الأتابك عن الدين وصاحب أمره مجاهد الدين أيضاً ، فلم يعتد بأمره الشام ، ونعته المؤرخون بأنه كان ضيق العطن ، فرحل الأتابك من حلب وكان قد أقام بها الى ١٦ شوال من هذه السنة ، حتى أتى الرقة ، ولقي الأتابك أخاه عماد الدين فاستقر بينهما مقايضة حلب بسنجار لاعتقاد الأتابك انه لا يمكنه حفظ الشام مع الموصل لحاجته الى ملازمة الشام لاجل السلطان صلاح الدين ، فسلم عماد الدين حلب في ١٣ المحرم سنة ٥٧٨ هـ وأرسل عن الدين من تسلم سنجان .

وبلغ السلطان صلاح الدين أن رسل الموصل وصلوا الى الافرنج يحثونهم على قتال صلاح الدين ، فعلم أنهم نكثوا اليقين ، فقصده الأتابكة لجمع كلمة العساكر الإسلامية على العدو ، فأخذ في التأهب لذلك وقد زادت حوادث الأتابكة في أشغاله . ولما بلغ عماد الدين ذلك سیر الى الموصل يشهر بالخبر ويستحث العساكر ، وصار السلطان صلاح الدين حتى نزل على حلب ، فكان الأتابكة شغله الشاغل ، لأنهم صدّوه عن حرب الصليبيين وصاروا عليه مع الافرنج . وكان وصوله الى حلب في ١٨ جمادى الأولى سنة ٥٧٨ هـ فأقام ثلاثة أيام ثم رحل في ٢١ منه يطلب الغزاة . وفي هذه الأثناء استقر الحال بينه وبين مظفر الدين كوكبري ، وكانت آنئذ صاحب حرّان . استوحش من أتابكة الموصل ، وخاف من مجاهد الدين قايماز ، فالتجأ الى السلطان صلاح الدين ، وعبر الى قاطع الفرات ، وقوى عزم السلطان على قصد بلاد الأتابكة ، وسهل أمرها عنده ، ودخل الرها والرقعة ونصيبين فكان هذا التاريخ زمن اتصال مظفر الدين بالسلطان صلاح الدين وهو جمادى الأولى سنة ٥٧٨ هـ - ١١٨٢ م . وكان قد حشه على فتح الموصل الا انه لم يوفق ، ورجع عنها لأسباب اقتضتها الأوضاع الجارية ، لئلا يترك خلفه خاليًا . . . وكفاه منهم ان أزعجهم ، وجعلهم في ريب من أمرهم ، وليس لهم قوة المهاجمة . وفي سنة ٥٧٩ هـ توسط رسول الخليفة وآخرون معه في الصلح فذهبوا الى صلاح الدين ودخلوا دمشق في ١١ ذي القعدة سنة ٥٧٩ هـ - ١١٨٤ م فلم يتفق الأمر . فان صلاح الدين اشترط في الصلح ان يكون صاحباً اربل والجزيرة على خيرتها في الانتماء اليه أو الى الموصل وهذا دليل على النفرة من مجاهد الدين قايماز قبل هذا التاريخ . وكان صاحب اربل زين الدين يوسف أخو مظفر الدين كوكبري قد حدث بينه وبين مجاهد الدين ما حدث من وحشة بينهما كانت موجودة بين مظفر الدين وبينه ، ثم كان القبض على مجاهد الدين أيام الأتابك عز الدين وكان نائبه ، فأدّى ذلك الى أن تخرج اربل وغيرها من يده لحرص الأسراء على مطالبهم الخاصة وذلك باقصاء مجاهد الدين وضياع امارات عديدة .

وفي ذي الحجة من هذه السنة ورد على صلاح الدين رسول اربل فخلف له ،
فتوثقت الإلفة وحصل الاتفاق ، فأمن بهذا غائلة صاحب الموصل ولم يكن الأمر
مجهولاً في الموصل فقد شعروا به قبل ان يكون موضوع البحث . ففي ١٤ جمادى
الآخرة سنة ٥٨٠ وصلت برسل زين الدين يوسف صاحب اربل مستصرخاً بالسلطان
صلاح الدين يخبره ان عسكر الموصل وعسكر قزل بن يلدكز صاحب ديار العجم
ومجاهد الدين قايماز قد نزلوا على اربل ، ونهبوا وأحرقوا في قراها فنصر عليهم
وكسروهم . وكان أملهم أن يقضوا عليه فخابوا . ومن هذا يعلم انهم وقفوا على
جلية الأمر فلم تحف خافية عليهم ، فقاموا بما قاموا به .

ولما سمع صلاح الدين ذلك رحل من دمشق يطلب بلاد الموصل فتقدم الى
العساكر فتبعته ، وسار حتى أتى حران والتقى مع مظفر الدين بالبصرة في ١٢ المحرم
سنة ٥٨١ هـ ، ووصل السلطان الى حران في ٢٢ صفر من السنة المذكورة وفي
٢٦ منه قبض على مظفر الدين بن زين الدين لشيء كان قد جرى منه ، وحديث
كان قد بلغه عنه رسول فلم يقف عليه وانكره ، فأخذ منه قلعة حران والرها ،
ثم أقام في الاعتقال تأديباً الى مستهل ربيع الأول ، ثم خلع عليه وطيب قلبه ،
وأعاد اليه قلعة حران ودياره التي كانت بيده ، وأعاد الى قانونه سيفه الاكرام
والاحترام ، ولم يتخلف له سوى قلعة الرها ، ووعد بها . وهذه الحادثة اشارة الى
ان السلطان داخلته الشبهة في أنه فاض الموصل على اربل أو فاضته الموصل عليها .
ثم رحل صلاح الدين في ٢ ربيع الأول من السنة الى راس العين ، ووصل
اليه رسول فليج ارسلان يخبره ان ملوك الشرق بأمرهم قد اتفقت كلمتهم على
قصد السلطان ان لم يعد عن الموصل وماردين ، وانهم على عزم ضرب المصاف
معه ان اصر على ذلك . ولكنه بعد ان قام بأعمال عدة رحل نحو الموصل في
١١ منه حتى نزل موضعاً يعرف بالاسماعيليات قريب الموصل بحيث يصل من
العسكر كل يوم نوبة جديدة تحاصر الموصل . وفي هذه الأثناء في ربيع

الآخر سنة ٥٨١ توفي صاحب خلاط ، فطمع السلطان في خلاط وارتحل عن الموصل متوجهاً نحوها .

وبهنا أمر الموصل وصاحب اربل ، فان صلاح الدين قد صالح المواصلة وكان سبب ذلك ان الأتابك عز الدين صاحب الموصل سير ابن شداد الى الخليفة يستنجده فلم تحصل منه زبدة . ثم بلغهم ان صلاح الدين قد مرض فالتخذوا ذلك فرصة ، فبعثوا بالرسول اليه . فتم ما بينهما وبينه في ذي الحجة سنة ٥٨١ هـ ^(١) . كل هذه تعين توجه علاقات صاحب اربل نحو صلاح الدين . وهكذا حالة مظفر الدين ودام الصلح بين الأتابكة وصلاح الدين الى تاريخ وفاته بل ان المواصلة اشتركوا فعلاً في حروب الصليبيين في المصاف الأعظم في عكا ، وهكذا مظفر الدين بن زين الدين قد اشترك بحفله . . . ^(٢) ومن اهم ما اشترك فيه مظفر الدين (وقعة حطين) وقد أبدى فيها بسالة تذكر . وقف هو وتقي الدين صاحب حماه وانكسر العسكر بأمره . ثم لما سمعوا بوقوفهما تراجعوا حتى كانت النصر للمسلمين وفتح الله سبحانه عليهم ^(٣) .

وكان في سنة ٥٨٣ هـ قد سار مظفر الدين كوكبري ففتح الناصرة وصفورية . وقد وصفها العماد الاصفهاني ببلاغته المعروفة وأطرب في الشاء عليه لرجحه المعركة ^(٤) . وهكذا كانت له مواقف في سنة ٥٨٤ هـ ذكرها العماد ^(٥) . كما ذكر من أبلى البلاء الحسن ، وخص من قام بمهمة .

نقود مضروبة :

وبهنا أن نعين بعض النقود التي عثر عليها ، وكانت باسم الملك الناصر صلاح الدين يوسف ، واسم حسام الدين بولاق بن ابل غازي من آل أرتق (٥٨٠ - ٥٩٢) ضرب عليها اسم (كوكبري بن علي) . وهذه تدل على

(١) سيرة صلاح الدين : ابن شداد ص ٥٧ . (٢) ابن شداد ص ٩٣ .

(٣) ابن خلصان ج ١ ص ٦٣١ (٤) الفتح القسي في الفتح القدسي ص ٢٥ - ٢٦

(٥) الفتح القسي في الفتح القدسي ص ١٠٠

انها من ضرب امارته في حران وتلك الجهات بعد ان انفصل من الأتابكة أيام حسام الدين بولق من بني ارتق أي في سنة ٥٨٠ هـ أو بعدها حتى سنة ٥٨٦ هـ ولم يوجد فيها محل ضرب ولا تاريخه . ولا يصح ان يقال انها من ضرب اربل كما وهم الأستاذ (اسماعيل غالب) في كتابه (المسكوكات التركمانية) من قسم (المسكوكات الاسلامية) ، فلم تكن لهذا النقد علاقة بربل وانما ضرب أيام حكمه على حران والرها وفيه انه على وفاق مع الدولتين من آل ارتق و آل أيوب . . . (١)

وهذا النقد من نحاس ، ولما كان خالياً من التاريخ وعمل الضرب فانه ضرب في أيام مظفر الدين كوكبري من سنة ٥٨٦ - الى سنة ٦٣٠ هـ أي بين هذين التاريخين وليس هذا بصواب . في هذا التاريخ لم تكن علاقة لآل ارتق بربل ، وانما العلاقة بالسلطان صلاح الدين وحده ، وبأخلاقه . . .

ونوضح هذا النقد بايراد المکتوب فيه فقد جاء في صفحة منه تصوير حاكم لابس لامة الحرب في جانب منه ذكر حسام الدين بولق بن ابلغازي وفي الآخر كوكبري بن علي .

وفي الصفحة الأخرى في الوسط الملك الناصر صلاح الدنيا والدين يوسف بن أيوب (وفي الأطراف) محيي دولة أمير المؤمنين .

وفي هذا ما يغني عن الايضاح . ولعل التصوير لمظفر الدين نفسه ، وهو الذي نرجحه . . . وان العلاقات بين كوكبري وبين آل ارتق لا تزال مجهولة لم يبينها المؤرخون ، لتعرف جهة الاتصال . وكل ما نعلمه من الاستدلال بالحالة المشهودة ان مظفر الدين كوكبري انفصل عن الموصل ، فولد اتفاقاً بينه وبين آل ارتق كما انه مال إلى صلاح الدين ، وأخلص له في التعاون لحرب الصليبيين ، فتمكنت الالفه ، فاشترك آل ارتق ، وآل أيوب ، في ضرب النقود وكان آل ارتق يقرنون أسماءهم بأسماء آل أيوب .

(١) المسكوكات التركمانية من قسم المسكوكات الاسلامية ص ٤٠٠

ولما كان حسام الدين بولق ولي الأمر سنة ٥٨٠ هـ فلا شك ان ضرب النقود جرى في هذا التاريخ أو بعده • وهو محدد بسنة ٥٨٦ هـ لأن كوكبري انفصل من هناك في هذا التاريخ، فعلم ان النقد المضروب كان خلال المدة بين ٥٨٠ و ٥٨٦ هـ وفي سيرة صلاح الدين لابن شداد : « في أواخر ذلك اليوم - ٢٨ ربيع الاول سنة ٥٨٦ هـ - ٩٠ م - قدم - الى السلطان صلاح الدين - مظفر الدين بن زين الدين جريدة مسارعة للخدمة ، ثم عاد الى عسكره في لامة الحرب ، فعرضهم السلطان حتى وقف بهم على العدو ، وكان ما تقدم عسكر الا يعرضهم ويسيرهم الى العدو ، وينزل بهم في خيمته بمنزلة لهم الطعام • وينعم عليهم بما يطيب به قلوبهم اذا كانوا اُجانب ثم تضرب خيامهم حيث بأمر ، وينزلون بها مكرمين » (١) • ثم جاء أخوه زين الدين يوسف ، واستقبله السلطان ، وبعد مدة قصيرة مرض فتوفي ، فصار مظفر الدين كوكبري مكانه على اماره اربل ، وتنازل عما كان بيده من اقطاع الى السلطان صلاح الدين فأنعم بها على الملك المظفر نقي الدين • فتكون مدة مظفر الدين خارج اربل قد دامت الى ٣ شوال سنة ٥٨٦ هـ •

ابو المظفر زين الدين يوسف بنالكين

(أمارته على اربل) من سنة ٥٦٦ هـ الى سنة ٥٨٦ هـ

ولي زين الدين يوسف بنالكين بعد اخيه كوكبري • ومدة امارته نحو ٢٠ سنة • ومن الغريب ان المؤرخين لم يذكرُوا أعماله فيها ، كأنها لمحة بصر أو برق خاطف • ولا شك ان سني الوصاية كانت إلى سنة ٥٧١ هـ • بهذه ليس له عمل فيها • فاستقل الا انه لم يذكر له حادث مهم خلال هذه المدة من سنة ٥٧١ هـ الى سنة ٥٨٦ هـ •

وبمراجعة حوادث المعاصرين واستنطاق جملة من المؤرخين كتب لنا العثوري على بعض الحوادث الغامضة عن أيام اماره زين الدين يوسف فهل كان خامل الذكر

(١) سيرة صلاح الدين لابن شداد ص ١٠٣ •

في حين انه استكبر عمل قايماز من جراء ارساله فضلة دخل اربل الى الأتابكة ، واستبداده في الأمور ، فتمكن من اخراجه ، أو انه قربه الأتابكة اليمم لما رأوا من اخلاصه لهم . وكان المأمول أن يكتب ابن الأثير ، ولكنه أغفل ذلك ، وذكر أعماله المهمة التي تستدعي مدحه واكتفى بها . وكان المتوقع ان يكتب المؤرخون الآخرون ، ولم تصل إلينا جميع الوثائق التاريخية للعماد الكاتب الاصبهاني ، ولا محابرات مجد الدين ابن الأثير . فلا تزال الوثائق مطعورة أو ادر كها الفناء . ولم نتوصل الا الى :

١ — واقعة اربل . وهذه زادت في المشادة . أدرك زين الدين يوسف نوتر الوضع . ولعل العلاقة ولدها قايماز نفسه . وتفصيل الخبر ان دولة الأتابكة في الموصل كانت تتطلب ما كان يقدمه قايماز أيام نيابته على اربل ، فرأى ذلك أمراً كبيراً وان عددناه السبب في ذهاب قايماز من اربل ، كذهابه الى الموصل ، فلا ينبغي أن تعاد التجربة

ولقد ذهاب قايماز وتولية نيابة الموصل توتراً بين اربل والموصل ، فلم يشأ زين الدين يوسف ان يحمل الأموال لدولة الأتابكة فأدى ذلك الى النفرة بل يعتبر العامل الأكبر في انفصاله من الموصل ، وشموسه على دولة الأتابكة ، وميله الى صلاح الدين وقد ظهرت قوته ، وعظمت مكانته في كسره قوة الأتابكة الذين تولى أمرهم قايماز وهذه الواقعة قربت أكثر من صلاح الدين بل ان صلاح الدين في رغبة لمن يمد يد المعونة اليه .

كان ذلك في سنة ٥٨٠ هـ — ١١٨٤ م ، وصلت رسل صاحب اربل صلاح الدين في ١٤ جمادى الآخرة من هذه السنة فسار صلاح الدين يطلب بلاد الموصل انتقاماً من هذه الفعل .

٢ — قيامه بمعاونة فعلية لصلاح الدين في حرب الصليبيين ، وظهرت له حوادث أخرى . فلم يهمل أمر المساعدة بالمال والنفوس . وكانت اربل يد الأتابكة القوية

الفتاكة في حروبها ، فخرمها الخرق ، والحرص الزائد دون العقل بل كان عملها طيشاً ، ولذا كانت اقطاعات أميرها زين الدين علي كوجك بقدر ما كان يقوم به من الأعمال ، وهذا ما كان صلاح الدين يترقبه لجلب أمير اربل زين الدين يوسف كما أنه لا يفرض نفسه قرب اليه مظفر الدين وكان قد نفر دولة الأتابكة في الموصل لأن مدير أمرها مجاهد الدين قاياز وكان قد طرده من أمارته وإمارة أبيه وجعله مشرداً يتطلب استعادة ملكه المنتزع منه .

٣- وفاته . كانت في أيام جهاده في سبيل الله نصرة للإسلام في الحروب الصليبية . وكان ذلك في ٢٨ رمضان سنة ٥٨٦ هـ - ١١٩٠ م بالاصرة بالقرب من عكا ، ويقال ان المسيح (عليه السلام) ولد بها .

أما حياته في أيام الوصاية فانها لا تذكر ، وانما ذكرها المؤرخون لنائبه قاياز ، والأيام الأخرى في نفرتة من قاياز ، ومن التزم جانبه من الأتابكة فأدى الى انفصاله عن دولة الأتابكة واتصاله بالسلطان صلاح الدين ، ثم وفاته في سبيل الله مجاهداً . . .

نعتة في الفتح القدسي بقوله : « كان جاراً للكتائب ، باراً بالأبعد والاقارب . . . فرضت الأيام بمرضه أياماً ، وتلبت القلوب منا للتلف عليه وقد أمتت مراخاً ضراماً ، وعدته بطبيب السلطان فلم يأنس به ، ولم يسكن الي طبه ، لما كان يعلم من منافسة أخيه مظفر الدين في موضعه ، وانه ينتمش بمصرعه ، فاكتفى بصاحب له يطبه ، يوافقه على ما يحبه ، وهو جاهل بمزاجه ، ذاهل عن علاجه ، فشب الحمام في حمى شبابه ناره ، وأذوى غصنه غداة قلنا ما أزهى أزهاره ، وما أنضر نضاره . . . ولزمه أخوه مظفر الدين حتى فارقه ، وما ظهر عليه الغم حتى قيل انه سره موته ووافقه ، وقصدناه معز بن علي ظن انه جلس للزواء ، فاذا هو في مثل يوم الهناء ، وهو في خيمة ضربها في مخيم أخيه ، واحتاط على جميع ما يحويه ، ووكل بالاصراء اصحاب القلاع ليسلموها ، وخشي ان بعضوا فيها اذا رجعوا اليها ويحموها ، وخدم

بجسمين الف دينار حتى اخذ اربل وبلادها ، ونزل عن حران والرها وميساط والبلاد التي معه وأعادها ، وزاده السلطان شهرزور ، وأحكم بمسيره الأسباب والأموار ، فاستعمل الى حين وصول الملك المظفر تقي الدين لينزل في منزلته بجنده وصحبه الميامين ، فوصل يوم الأحد ٣ شوال سنة ٥٨٦ هـ في بعد العطل الأحوال « ٥٠٠ » هـ ^(١) وجاء في سيرة صلاح الدين لابن شداد : « ثم كان وصول زين الدين صاحب اربل في العشر الأواخر من جمادى الأولى (سنة ٥٨٦ هـ - ١١٩٠ م) وهو زين الدين يوسف بن علي بن بكتكين ، قدم بعسكر حسن وتجهل جميل ، فاحترمه السلطان وأكرمه وأنزله في خيمته ، وأكرم ضيافته ، وأمر بضرب خيمته الى جانب خيمة أخيه مظفر الدين » ^(٢) « ٥١ » هـ

أما أخوه فقد جاء الى صلاح الدين بفجربة في ٢٨ ربيع الأول سنة ٥٨٦ هـ - ١١٩٠ م. وعن مرضه ووفاته قال : « وفي ذلك اليوم - ٩ رمضان سنة ٥٨٦ هـ - ١١٩٠ م - مرض زين الدين يوسف بن زين الدين صاحب اربل مرضاً شديداً بجميعين مختلفتي الأوقات واستأذن في الرواح فلم يؤذن له ، فاستأذن في الانتقال الى الناصرة فأذن له في ذلك اليوم ، وأقام بالناصره أياماً عديدة يمرض نفسه ، فاشتد به المرض الى ليلة الثلاثاء ٢٨ رمضان وتوفي رحمه الله ، وعنده أخوه مظفر الدين يشاهده وحزن الناس عليه لمكان شبابه وغرته ، وأنتم السلطان على أخيه مظفر الدين ببلده ، واستنزلوه عن بلاده التي كانت في يده وهي حران والرها وما يتبعها من البلاد والأعمال ، وضم اليه بلد شهرزور أيضاً ، واستدعى الملك المظفر تقي الدين عمر ابن أخيه شامشاه ليكون نازلاً مكانه جابراً لخلل غيبته ، وأقام مظفر الدين في نظرة قدوم تقي الدين ، ولما كان نهار ٣ شوال سنة ٥٨٦ هـ قدم وعاد صحبة معز الدين سنجر شاه بن سيف الدين غازي بن مودود بن زنكي وهو صاحب الجزيرة إذ ذاك « ٥٠٠ » هـ ^(٣)

(١) الفتح القسي في الفتح القدسي ص ٢١٨ . (٢) سيرة صلاح الدين لابن شداد ص ١٠٦

(٣) - سيرة صلاح الدين لابن شداد ص ١٢٩ وابن أبي عذينة ج ٥ ص ٢٩ وابن خلكان

في ترجمة الموفق . وهناك عبيدة مدسه بها ج ٢ ص ٣٤ .

مظفر الدين كوكبري

(امارته الثانية (٥٨٦ : ٨٦٣)

من أعظم (آل بكتكين) ، وأكابر من اشتهر من رجالها . وجاء لقبه في النقود (ملك الأمراء) مظفر الدين أبو سعيد كوكبري . لم يسبقه أحد من أميرته في فضل ، وإن كانوا ذوي مكانة لا تذكر ، ولا شاركه في ما قام به مشارك في مكرمة وانعام وإن كان لا يصح أن تهمل قدرتهم على الإدارة وقوتهم في الحروب ، بل قد تتضاءل عنه عظمة الملوك ، لا في السفك والنهب ، بل في أعمال البر والخير ، وما يعلي شأن المملكة ويقوي ثقافتها وآدابها .

وبعد بحق رجل التاريخ لا يزال ذكره منتشرًا في الأوساط العلمية ، وفي التاريخ السياسي والأدبي والديني : أرضى صنوف الجماعات ، ووجه المملكة توجيهاً حقاً . لم يطوح بها في المآزق الحرجة ، ولم يكن من الفاتحين السفاحين المجازفين ، أو العتاة الجبارين . كان الفد من نوعه بين أمراء الشرق ، أحيا اربل حياة طيبة ، وأنعشها وأعلى مداركها بما لا مزيد عليه في اماره لم يكن لها من الشأن قبل هذه الأمرة ما يستحق أن تذكر به . . .

قام بادارة حققة ، وبأعمال سياسية مقبولة معتدلة ، وممكن من ثقافة لائقة وراعى الأمور الدينية ، والأخلاق القومية ، فكان لتنظيمه أثره ، ولادارة ماليته وجيشه المكانة الفعالة في الترتيب المرضي بين عوامل متنوعة ، متنازعة الأهواء ، فهو محاماً بدولة الأتابكة ، وبالخلافة ، ودولة الأيرانيين ، أوقف المجاورين عند حدودهم ، وهم يتحفزون للوثوب ، ويتأهبون للفتيحة ، فتمكن بحكمته وحسن سياسته ، أن يضرب بعضهم ببعض ، يتفق مع هذه مرة ، ومع تلك أخرى ، ويداري الخلافة . كان في أهبة من الطوارئ ، لم يستطع أن يتحكم به أحد ، ولم يفتر أو يطمش ، بل استخدم القوة ولم يطوح بها ، وآماله مصروفة للتعاهم لا للحرب في حين ان قوته لا يستهان بها ، فيهدد بها الدول الأخرى ، ولا يركن إلى المشاهدة . تمكن من اعلاء شأن هذه الامارة ، فأبقى لها حسن السمعة ، ولم يكن كملوك مضوا غير

مأسوف عليهم . ذهبت أعمالهم هباء ، أو كانت محل الاعتبار والسخط ، وذكرها ذكرى الجبيرة السفاكين . كانت حياته بنشاط كبير ، ولم تكن خاملة مهمل .
تبتدي حياته في اربل من تاريخ ذهابه من عند السلطان صلاح الدين بعد وفاة اخيه ، وتنازله عن بلاده ، وطلب العودة الى اربل والاكتفاء بها ، فذهب اليها في ٣ شوال سنة ٥٨٦ هـ .

ظهرت مواهبه ، وبدأت أعماله المستقلة ، وظل على ولاء صلاح الدين الى ان توفي ، ثم والى الملك العادل بالوجه المذكور . وكانت العلاقة بالأتابكة قد قطعت من أيام اخيه زين الدين يوسف بن التكين ومالت الى الدولة الايوبية وصلته بها كانت قبل اخيه .

النقود المضروبة في أمان

وهذه وصل اليها أقدمها ، ولعلها أول ما ضرب . وهو النقد المؤرخ في سنة ٥٨٧ هـ ، فان مجيئه الى اربل كان في ٣ شوال سنة ٥٨٦ هـ - ١١٩٠ م ولا شك انه بعد وصوله اليها لم يستطع ان يقوم بالضرب في تلك السنة التي دخلها أي لم نشاهد له في هذه السنة نقداً مضروباً ، وانما شوهد هذا النقد وجاء فيه ذكر الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب مقروناً باسمه (كوكبري بن علي) .
ولا شك انه كان على ولاء هذا السلطان فذكر اسمه في صفحة ، والخليفة الفاضل لدين الله امير المؤمنين ، وولي عهده عدة الدنيا والدين ابا ناصر محمد في الصفحة الأخرى .
مضى كوكبري على ضرب النقود مصرحاً باسم الملوك من آل أيوب الى أيام الملك الأشرف ابي الفتح موسى بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر الأيوبي ، ففي سنة ٦٢٧ هـ من أيامه شعر باتفاق كان بينه وبين بدر الدين أوّل للقضاء على امارة اربل ، فقال الى الخليفة المستنصر بالله ، واكتنا لم نقف على نقود له في هذه السنة ، ولا السنين التي بعدها .
كان الأمير كوكبري قد ذكر في نقوده السلطان صلاح الدين ، والملك العادل ، والملك الكامل الى تاريخ الانفصال من الأيوبيين .

يتبع : (بغداد) عباس الغزاوي

كنز من كنوز الجاحظ

« أربع رسائل من رسائل عُثْر عليها هربثا »

أصبحت بلاغة الجاحظ وعبقريته وتفوقه على غيره في ابتكار المعاني وموضوعات الكتابة على اختلاف أنواعها - أمراً متعلماً مشهوراً . كما أن الحديث عنها يكاد يصبح مملولاً مأجوماً . فلم تبق حاجة للقراء في هذا وإنما الحاجة ماسة الى وصف آثاره ، وما اشتملت عليه من مواطن للحسن والابداع ، أو مواضع للمواخذة والانتقاد . وهناك أمر آخر له خطره في خدمة آثار الجاحظ : ذلك أن الأغلاط التي تقع فيها ليست كالأغلاط التي تقع في آثار غيره : لأن آثاره هو تقرأ مراراً . وجملة وتعابيره تعاد تكراراً : فإذا كان يتم خطأ علقه الذهن وأشرته النفس . وخاصة نفوس الناشئين والأحداث . فأصبح من الواجب تتبع ما يبشر من كتابات الجاحظ جملة جملة . وتفليتها فقرة فقرة . والتنبية الى ما عساه يكون وقع فيها من خطأ فيصحح . أو تحريف فيقوم . ويشار الى الصواب فيها . أو ما يقرب من الصواب .

والمطولات من مصنفات الجاحظ إن كادت تعدّ ونحصى ، فإن رسائله وهي القصار من آثاره لا تكاد تعدّ . أو ينفد لها مدّ . وترانا من وقت الى آخر نسمع أنه عُثِر على جديد من أخباره . أو طريف من رسائله وآثاره . من ذلك أربع رسائل عُثِر عليها المستشرق العلامة (پاول كراوس) ضمن مجموعة من رسائله (أي رسائل الجاحظ) محفوظة في مكتبة (الداماد ابراهيم باشا) وقد صحح (كراوس) هذه الرسائل الأربع وعلق عليها وحقق ألفاظها جهد طاقته وطاقة رفيقه في العمل الأستاذ (محمد طه الحاجري) وبعد ان عارضها بنسخ منها في مصادر أخرى طبعاها في مطبعة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) في القاهرة سنة ١٩٤٣ م . وهذه عنواناتها :

(١) المعاد والمعاش

(٢) كتمان السرّ وحفظ اللسان

(٣) الجدل والهزل

(٤) فصل ما بين العداوة والحسد

وقد كان الأستاذ (كراوس) أهدى إليّ وأنا في القاهرة مجموعة هذه النسخ :
 فإذا هو يقول في مقدمته لها معترفاً ببقاء غوامض فيها : (وما يزال أملنا كبيراً
 في أن نجد من نقد الناقدين ما عسى أن يجلو هذه المواضع المغشاة فيها)
 فعلمتُ أن الناشر الفاضل عى أكمل ما يكون من أخلاق العلماء . وأنه لا معنى
 لقبول هديته إلا العمل بأمنيته . فأساعده على رفع الغشاوة عن بعض ما في
 الفاظ هذه الرسائل من تحريف أو تصحيف :

(وما الكتب إلا كالضيوف فحقها بأن تُتلقى بالقبول وأن تُقرأ)

وأزيد على ما قاله هذا الشاعر : إن من حقها أيضاً أن تُتخدم وتُكرم .
 بتصحيح أغلاطها . وتقويم اعوجاجها . وإزالة الغموض إن وجد عنها . فتكون
 الفائدة منها أتم . والانتفاع بها أكمل .

الرسالة الأولى

وقد عُثر إلى اليوم من رسائل الجاحظ ونصار آثاره على عشرين رسالة طبع
 منها إحدى^(١) عشرة رسالة في مصر وثلاث رسائل في ليدن ثم ثلاث في مصر
 وهي التي نشرها (فنكل) سنة ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ م) وأخيراً ثلاث الرسائل التي
 ظفر بها الأستاذ (كراوس) .

قلنا إن عنوان الرسالة الأولى منها (المعاد والمعاش : في الأدب وتدريب الناس
 ومعاملاتهم) وقد بعث الجاحظ بهذه الرسالة إلى (أبي الوليد محمد بن أحمد بن
 أبي دؤاد) . ومن مواضع العجب أن مجموعة مكتبة (الداماد) التي وُجدت
 فيها هذه الرسالة بالعنوان المذكور احتوت على الرسالة نفسها لكن بعنوان

(١) نشرها السيد الساسي سنة ١٣٣٩ هـ ثم أعاد طبعها مع زيادة وقصان السيد السندوي (١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م)

آخر ، درواية أخرى ، أما العنوان الآخر فهو : (الأخلاق المحمودة والأخلاق المذمومة) كتبها الى محمد بن عبد الملك (وهو المعروف بابن الزيات وزير المعتصم) ولعل السبب في هذا الاختلاف ان النسخة الأصلية المروية عن الجاحظ قد أغفل فيها اسمها واسم المخاطب بها . فرجح أحد رواة الأدب أن المخاطب بهذه النسخة هو ابو الوليد محمد المذكور واختار لها اسم (المغاد والمعاش) أما الراوي الآخر فرجح ان يكون المخاطب بها (ابن الزيات) وسماها (الأخلاق المحمودة والأخلاق المذمومة) . واخذ الرواة من يومئذ يتداولون النسختين بالعنوانين المختلفين . وكان أحد أولئك الرواة يرويها بسندٍ وتعايير وبعض ألفاظ غير ما يرويها به الآخر . وهذا ما جعلهم يقولون إن للرسالتين روايتين .

والرجلان اللذان اختلف الرواة في نسبة الخطاب اليهما في الرسالة كانا من أشهر رجال العلم والحكم في عصر الجاحظ : كان احدهما قاضياً ، والآخر وزيراً ، وكان للجاحظ اتصال بهما . ودالة عليها . يعرف ذلك من التأمل في الأسلوب وطريقة الخطاب الذي كان يوجه اليهما في رسائله . وتوجد طائفة من رسائل الجاحظ غير الأربع المذكورات قد وُجه الخطاب فيها الى هذين العظميين أيضاً . و (أبو الوليد محمد) هذا ولأه الخليفة المتوكل القضاء بعد وفاة أبيه القاضي احمد بن ابي دؤاد . ومن يتصفح أقوال الجاحظ . ويتأمل أساليبه في هذه الرسائل . وهو يتكلم في الأدب والأخلاق . وما يحمد منها وما يذم . وما يجب ان يتوخى في معاشرات الناس ومعاملاتهم . لحين المواصلة والمقاربة ، ولحين المخافة والمباعدة — من تأمل ذلك في كلام الجاحظ خيل اليه أنه انما يقرأ كتابات ابن المقفع في هذه الموضوعات لولا اسهاب واستطراد أحياناً في كلام الجاحظ . وهذا ما وقع لي بالفعل فلما ذهبت عن نفسي قليلاً وأنا اقرأ أقوال الجاحظ في رسائله هذه فحسبني أعيد قراءة كلام محبوب في نفسي . واذا الخبوء رسالة (الأدب ^(١) الكبير) لعبد الله

(١) ويسمى أيضاً الدرة البثينة طبعت في بيروت سنة ١٨٩٧ مع مقدمة وتاليف للأمبر شكيب أرسلان ثم طبعت في مصر مضبوطة بالشكل باسم الأدب الكبير بتحقيق أحمد زكي باشا .

ابن المقفع وقد كنتُ خلصتُ معظم ما فيها بخطي في زمن (الطلب) فرجعت إلى هذا الملخص وجعلت أقرأ منه جملةً ، ومن رسالة الجاحظ جملةً ، فإذا الكلامان متشابهان في كثير من الألفاظ والأساليب وطرق الإيراد . حتى كأن قلماً واحداً نطقها . أو معدناً واحداً من التبر لفظها . ولا عجب فإن الأديبين بكادان يكونان نسخة واحدة مصححة من ثقافة زمنها وادب عصرهما . يشهد لذلك الجاحظ نفسه : فقد وصف في الرسالة الرابعة (العداوة والحسد) ما يلاقيه من عنت حساده له . واستهزأهم بما كان يكتبه ويؤلفه : فكان يعتمد الى بعض مصنفاته وينسبها الى غيره من أبناء عصره . فيعجب إذ ذاك حساده بها . وينوهون بحساسنها وبلاغتها صاحبها على مسمع من (الجاحظ) مؤلفها ، وهم لا يشعرون . والى مَنْ كان الجاحظ ينسب مصنفاته المغفلة هذه ؟ قال انه كان ينسبها الى طائفة من فضلاء عصره وفي طليعتهم ابن المقفع .

اما السبب الذي حمل الجاحظ على مخاطبة القاضي ابي الوليد برسالة (المعاد والمعاش) فهو ما ذكره في فاتحتها . وملخصه انه كان يسمع بأبي الوليد ، وعظيم مواهبه ، وُغرة مناقبه ، وتفوقه على أترابه ، فشوقه هذا الى الاتصال به ، واختباره في شتى حالاته . فوجد لديه من الفضل والنبل والكرم أكثر مما بلغه . وقد وصله (ابو الوليد) بمودته ، وخلطه بنفسه . فكافأه الجاحظ على نعمته عليه بتقديم هذا الكتاب اليه .

وقد قال - مخاطباً له - (فرأيت ان اجمع لك كتاباً من الأدب جامعاً لعلم كثير من المعاد والمعاش أصف لك فيه علل الأشياء وأخبرك بأسبابها الخ) . ثم ان الجاحظ انتهر ذكر (العلل) و(الأسباب) التي توخاها في كتابه فقارن بينه وبين مصنفات غيره من العلماء . ففضل كتابه من حيث انه (اي الجاحظ) يبين علل الأشياء ويكشف عن اسبابها . بينما غيره من المصنفين لا يفعلون شيئاً من ذلك . وإنما اقوالهم (روايات رَوَوْها عن اسلافهم ، ووراثات ورثوها عن

أكبرهم) ثم جعل الجاحظ صنيعهم هذا من قبيل فضيلة أداء الأمانة !! أما فضيلة الاستنباط والاستشهاد والتعليل فلبسوا منها في شيء . قال : (وإن تجد وصايا أنبياء الله ابتداءً إلا مبنية الأسباب . مكشوفة العلل . مضروبة معها الأمثال) هذا ما قاله الجاحظ وهو فيه يوافق من يلحز عناءنا الأقدمين (الذين كتبوا في التاريخ والأخبار والآداب) من جهة أنهم إنما يتتبعون في مصنفاتهم جزئيات الحوادث ، ورواياتها المختلفة ، وبوردها من دون تمحيص ، ولا مقارنة ، ولا استنتاج ، ولا محاسبة ، كما يقول ابنه هذا العصر . ففؤرخونا وأخباريونا عشاق رواية ولا قيمة (الدراية) في نفوسهم : فهم لا يعملون عقولهم في تعليل الأشياء ، ولا في امكانية حدوثها . ولو رأى الجاحظ ما كان من ابن خلدون في (مقدمته) المشهورة أقرت عينه واشتفت نفسه ، ولعده ابنه الوحيد الذي يسرته ، ويغتبط بذكائه وأدبه . على أن الجاحظ مهما قرأ نفسه . ونوّه بحسن مآتيه في مصنفاته . فإن فيها ما يؤاخذ عليه . وكما سمعناه يعيب كلام غيره ويصححه بالمرأوخة والاحتيال (ونقول نحن اليوم اللف والدوران) ثم لا نلبث أن نرى ذلك في كتاباته ، ونلمحه في الكثير من محاولاته وناظراته . فهو كثيراً ما يهول على قراءته . ويدعمهم وقد وقد مبرج^(١) بهم الطريق : بحيث يربهم التافه من الأمور خطيراً ، والخطير حقيراً ، ويذهب بهم في مذاهب الغلو والتلطف في القول كل مذهب . حتى ليحيل إليهم أن الجبل هباء . والأرض سماء . وحتى ليكاد بقنعهم بأن اللؤم من مكارم الأخلاق . والمشغل من نفائس الأعلام . وأن السلحفاة قد تبذرت الجرد العتاق . في ميادين السباق . ولو شئت لاستخرجت من كلامه عدة شواهد^(٢) على ما ذكرت . قلت آنفاً إنني سأعمل على تصحيح بعض الفاظ هذه الرسائل . أما تصحيح

(١) في الأساس : مبرج بهم الطريق ' بالبناء للمجهول (إذا أخذهم في غير المحجة وعدل بهم عن الجادة النافذة إلى غيرها ، وأصل الكلمة هندية نقلت إلى الفارسية ثم عربت

(٢) وإذا تعجل القارئ نموذجاً من هذه الشواهد فليراجعها في كتاب تأويل مختلف

ما وقع فيها من إيهام في البحث أو غموض في الجمل والأساليب فإن هذا قد يتعسر • ومعرفة وجه الصواب فيه قلما تيسر • ولذلك سنبقي صفحة أو صفحات أحياناً من رسائل الجاحظ مغلقة المعنى في وجه القراء ، إلى أن ينجأوا بالعثور على نسخ جديدة مصححة لهذه الرسائل •

وهذا الغموض في أساليب الجاحظ يكون ناشئاً في أغلب الأحيان من جهل النساخ فيمسحون ما خلق • ويهدمون ما بنى • وقد يكون الغموض ناشئاً من جهل القارئ بأساليب الجاحظ وطريقته في تركيب الجمل ، « ذاليف الفقراء » التي اعتادها هو (أي الجاحظ) وبعض فحول الكتاب في الصدر الأول : فهم كلام الجاحظ إذن يحتاج إلى إطالة النظر في بعض المواطن من مصنفاته وتصفح الوجوه التي تحتمله من المعاني • ثم التثبت مما يريد من هذا اللفظ أو ذاك التعبير • والا فقد يقرأ القارئ صفحات من آثاره ويتخلل فصولها فصلاً • وأبوابها باباً باباً ثم يخرج من دون أن يعلق بكفه منها أثر •

فالاستفادة من كتب الجاحظ متوقف على شئئين (أولاً) تصحيحها وتحقيق الفاظها • (ثانياً) ألفه أساليبه ، والمران عليها • وتتوفر هذه الألفة في من تزلج من اللغة ، واتقن قواعدها •

ومن أمثلة الألفاظ التي يستعملها الجاحظ : يكون لها من المعنى عنده غير ما اعتدنا أن نفهمه منها - ما جاء في ص ٨ من رسالة « المعاد والمعاس » وهو قوله : (واعلم أن الآداب إنما هي آلات تصلح أن تستعمل في الدين وتستعمل في الدنيا الخ) فهو يريد بالآداب غير ما نفهمه اليوم • منها : ' يعرف ذلك بالتأمل في بحشه وتنبهه إلى منتهاه • فقد أراد بها المصالح البشرية • والمعاملات الدنيوية : فهو يقول إنها من الدين • وليس الدين بخارج عنها ولا منافياً لها : فالضمرتان (أي الدنيا والآخرة) متكافئتان متضامتان : لا تستقل إحدهما عن الأخرى • واستشهد لذلك بما قاله (ابن عباس) في تفسير آية (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة

اعمى) . فقد قال ابن عباس (من كان ليس له من العقل ما يعرف به كيف دُيرت أمور الدنيا . فكذلك هو إذا انتقل الى الدين : فانما ينتقل بذلك العقل . فيقدر جهله في الدنيا بكون جهله بالآخرة أكثر : لأن هذه (اي الدنيا) شاهدة وتلك غيب . فإذا جهل ما شاهد . فهو بما غاب عنه أجهل) ^(١)

ومن قوانين الحياة العامة التي نصح الجاحظ للبشر او لمخاطبه (القاضي ابي الوليد) ان يسيروا او يسير عليها - ما يصح ان نسعيه قانون ^(٢) (الرغبة والرهبة) فقد قال الجاحظ ص ١٣ ما نصه (فاذا كان العباد لم يصلحوا لخالقهم ولم ينقادوا لأمره الا بما وصفت لك من « الرغبة والرهبة » فأعجز الناس رأياً . وخطأهم تدبيراً . واجهلهم بوارد الأمور ومصادرها . من أمل او ظن او رجا ان احداً من الخلق - فوقيه او دونه - يصلح له ضميره او ينصح له بخلاف ما يبرم الله عليه في ما بينه وبينهم . فالرغبة والرهبة اصلاكل تدبير . وعليها مدار كل سياسة . فاجعلها (يا ابا الوليد) مثالك الذي تحتذي عليه . وركنك الذي تسند اليه) اهـ وقد نظم الشاعر هذا المعنى فقال :

(انما تنظر العيون من التسليم من من ترعيه او تخشاه)

ومن قوانين الحياة العامة او السياسة العامة التي اشار بها الجاحظ ما يصح ان نسعيه ايضاً (قانون المكافأة) وخلاصته ان رئيساً من الرؤساء اذا اراد مكافأة عامل على عمله كان عليه ان يزن المكافأة ونوعها بأدق الموازين : فإن شخصاً لم ينصح لك . ولم يكن ذا حرمة بين الناس . ولا كفاية للمهم من الأعمال

(١) ولي في هذا المعنى كلمة جريئة . كنت قلتها في صدد تحذيرنا مشر المسلمين من التفریط في توفير الأسباب الدنيوية الموصلة الى العزة والغلبة : قلت ان الدنيا مليئة بالآخرة فإذا أضعفتنا الطيبة حتى أضعنا ما كنا للآخرة أكثر إضاعة . ثم علت ذلك بما علل به ابن عباس غير ان قوله رضي الله عنه أشد صراحة وأكثر بياناً . (٢) مضمون هذا القانون يشبه من بعض الوجوه ما قرره الوزير الايطالي (ميكافيلي) في قوانينه السياسية التي دونها في كتابه (الأمير) وقد تجاهل فيها عاطفة الرحمة والرفق بالإنسانية . والقول بأن هذا مطابق لما في سياسة عباده دعوى باطلة واقتراء على حكمة الخالق .

شخصاً مثل هذا إذا أثرته بالمكافأة إيثار هوى (فإن الأثرة على الهوى توجب السخطة، وتوجب استصغار عظيم النعمة، ويُحق بها الأفضال، وتفسد بها الطائفتان : من أثرته ومن آثرت عليه) ثم أوغل الجاحظ في تحليل هذا المعنى . وتصوير كيف ان من أثرته بالنعمة يسخط أيضاً . وفصل أحوال المستحقين للمكافأة وغير المستحقين لها . حتى قال إن العقوبة أحياناً تكون من المكافأة التي بها صلاح البشر .

(من لا يؤدبه الجيب ل نفي عقوبته صلاحه)

ومن قوانين الحياة التي اشار بالتزامها قانون جاء به الدين من قبل . وطالما شكا منه ومن الإخلال به رجال الإصلاح الديني : وهو (قانون التوكل) : فقد حدده الجاحظ ص ١٨ و كشف عن معناه بما يحمده عليه كل من عرف مبلغ الضرر الذي لحق المسلمين من جرأ التوكل الكاذب . قال الجاحظ احسن الله اليه (واحذر كل الحذر ان يخذلك الشيطان عن الحزم فيمثل لك التواني في صورة التوكل . ويسلبك الحذر . ويورثك الهوينا بإحالتك على الأقدار : فان الله إنما أمر بالتوكل عند انقطاع الحيل ، والتسليم للقضاء بعد الإعذار^(١) . بذلك انزل الله كتابه . وامضى سنته . فقال تعالى : خذوا حذركم . ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة . وقوله ﷺ : إعلمها وتوكل . وسئل ما الحزم ؟ قال الحذر . فحفظ من هذا الباب . وأحكم معرفته إن شاء الله تعالى) .

وما ذكرناه من كلام الجاحظ وطريقته في تمييز الأخلاق . ومقارنة صالحها بفاسدها كاف في الدلالة على منزعه في الرسالة الأولى (المعاد والمعاش) ولنقبل الآن على ما في هذه الرسالة نفسها من الأبحاث اللفظية . والفوائد اللغوية . ونرجي ذلك الى

العدد الآتي .

المغربي



(١) أي بعد أن يكون الإنسان توسل بالأسباب جهده طاقته وعجز عن الوصول الى غرضه وإذ ذاك يهذره الناس . ويقولون إنه قد أهذر .

فهارس المخطوطات

في العراق

في بلدان العراق المختلفة ، خزائن عديدة للكتب ، بعضها خاص بملكه طائفة من الباحثين والمغرمين بجمع الكتب ، وبعضها عام 'عنيت الحكومة بفحصها لجمهور المطالعين . ولا يخلو بعض هذه الخزائن من مخطوطات قديمة نادرة الوجود ، إلا ان عناية الباحثين في العراق ما زالت ضئيلة من حيث وضع « فهارس » مفصلة ، تصف ما في هاتيك الخزائن من مكنونات ومخلفات ثمينة . وهذا تقصير مرجعه في الغالب قلة مبالاة الناس بالفائدة المرجوة من أمثال هذه الفهارس .

ولقد سبقنا المستشرقون من أبناء الغرب في هذا المضمار وقطعوا فيه أشواطاً بعيدة . فلم يدعوا مجموعة خطية في خزانة من خزائهم تقريباً ، الا تولوا وصفها ودرسها . فالفهارس العديدة المتنوعة التي صنفوها ، قد أغنت العلماء وفحت لهم أبواباً للبحث والتنقيب كانت موصدة من قبل .

فكبريات دور الكتب الأوربية في لندن وأكسفورد وكمبرج وباريس وبرلين وليبسيك وثينة ورومة وليدن والاسكوريال وغيرها ، حافلة بفهارس مخطوطاتها التي تعدّ من أنفس المراجع وأوثقها في الوقوف على دفائن المؤلفات الخطية التي تشتت شملها وتناثر في كثير من بقاع الأرض .

وإذا استقصينا ما نُشر من « فهارس المخطوطات » في دور كتب العراق ألفينا عددها قليلاً ، لا يعدو أصابع اليدين . وسنذكر في هذه الكلمة ما نُشر منها بالطبع ، وما لا يزال مخطوطاً لدى أصحابه .

والذين 'عنوا بتصنيف هذه الفهارس المطبوعة ثلاثة من أفاضل العلماء المؤلّفين :

أولهم : السيد أدّي شير : المؤلف العراقي الشهير ، مطران الكلدان في سعرت سابقاً ، المتوفى سنة ١٩١٥ م . فقد وضع باللغة الفرنسية فهرسين ثمينين في هذا الباب :

الأول : فهرست المخطوطات السريانية المحفوظة في خزانة كتب دير السيدة حافظة الزُرُوع ، بجانب القوش التي في شمالي الموصل . وقد نشره مؤانته في المجلة الآسوبة الفرنسية بباريس (Journal Asiatique) سنة ١٩٠٦ ، ثم طبعه في السنة نفسها ، في رسالة لطيفة تقع في ٦٥ صفحة ، وصف فيها ١٥٣ مخطوطة ^(١) .
الثاني : فهرست المخطوطات السريانية والعربية ، المحفوظة في خزانة كتب دار البطريركية الكلدانية بالموصل . وقد طبعه مؤلفه في باريس سنة ١٩٠٧ ^(٢) ونسخه اليوم نادرة .

وثانيهم : الدكتور داود الجلي الموصل . فقد نشر كتاباً عظيم الشأن ، وسمه بـ « مخطوطات الموصل » ^(٣) ، ذكر فيه الكتب العربية ، والمكتوبة بحروف عربية ، التي وقف عليها في مدارس الموصل الدينية وجوامعها ، ذلك الى مجاميع يملكها بعض الباحثين والسراة وغيرهم في مدينة الموصل .
وقد بلغت المخطوطات التي تطرّق المؤلف لذكرها أو وصفها ، قرابة أربعة آلاف مخطوطة ، مفرقة بين نيف وخمسين خزانة ، نذكر منها ما شملت على خمسين مخطوطة أو أكثر من ذلك :

Addai Scher (Mgr.) : Notice sur les Nanuscripts Syriaques (١)
conservés dans la Bibliothèque du Couvent des Chaldéens
de Notre - Dame des Semances .

Catalogue des Mss. Syr. et Arabes de la Pibl. Patriarcat (٢)
Chaldéen de Mossoul .

(٣) مخطوطات الموصل ، وفيه بحث عن مدارسها الدينية ومدارس ملحقاتها . (مطبعة الفرات ،

بغداد ١٩٣٧ : ٣٨٩ ص)

عدد المخطوطات	الخزانة	عدد المخطوطات	الخزانة
٥٧	المدرسة العبدالية	٢٦٠	المدرسة الأحمدية
٥٠	العثمانية في جامع الرابعة	٦٨	الاسلامية
٣٠٧	المحمدية في جامع الزبواني	٣٦٨	مدرسة جامع الباشا
٢٩٥	مدرسة الملا زكريا (الحاج زكريا)	١١٥	بكر افندي
٢٢١	النبي شيت	٥٥	الخاتون
٥٣	المدرسة النعمانية	٦٨	الجامع الكبير
٣٧٢	مدرسة يحيى باشا	١١٥	الحاج حسين بك في جامع السلطان أويس
٧٦	خزانة كتب المؤلف الدكتور داود الجلبي	٣٠٦	الحجيات
		٣١٧	المدرسة الحسنية
		١٣٥	مدرسة الخياط
		٢٦١	عبد الرحمن جلبي الصائغ

وثالثهم : المستشرق الفرنسي الأب فوسني الدومنيكي : فإنه صنف ثلاثة فهارس مفيدة ، وصف فيها مخطوطات ثلاث خزائن عراقية ، وهي :

- ١ - فهرست المخطوطات السريانية المحفوظة في خزانة كتب دير السيدة^(١) ، وهو على غرار الفهرست الذي صنفه المطران أدري شير لهذه الخزانة ، وقد أشرنا إليه ، بيد أن هذا أكمل وأتم ، لأن فوسني وصف فيه ثلاثمائة وثلاثين مخطوطة وصفاً حسناً .
- ٢ - فهرست المخطوطات السريانية المحفوظة في خزانة كتب الأبرشية الكلدانية في كركوك^(٢) . وقد نشره بالفرنسية في مجلة الشرق المسيحي (Orientalia

Vosté (J.-M., O.P.) : Catal. de la Bibl. Syro - Chaldéenne (١) du Couvent de Notre - Dame des Semances près d'Alqos h. (Rome , 1929 ; 130 p.) .

Catal. des Mss. Syro - Chaldéens conservés Dans la Bibl. (٢) de l'Archevêché Chaldéen de Kerkouk .

Periodica Christiana) الصادرة في رومية سنة ١٩٢٩ . وقد وصف المؤلف في هذا فهرست ٤٩ مخطوطة .

٣ - فهرست المخطوطات السريانية المحفوظة في خزانة كتب الأسقفية الكلدانية في العقرة^(١) . وقد نشره بالفرنسية في المجلة المذكورة سنة ١٩٣٩ وفيه وصف ٦٧ مخطوطة .

هذا ما يتيح لنا الوقوف عليه من الفهارس «المطبوعة» التي تصف المخطوطات في العراق . ونضيف الى ما تقدم ذكره ، ثبثاً صغيراً صنعه الأستاذ كاظم الدجيلي لخزانة كتب الأمير (عم) في النجف ، ونشره في مجلة لغة العرب (٤) [بغداد ١٩١٤]^(٢) ص ٤٠ - ٤٥) وقد وصف فيه ١٧ مخطوطة .

وللأستاذ الشيخ علي الخاقاني ، صاحب مجلة «البيان» التي تصدر في النجف ، وصف حسن لأربع وعشرين مخطوطة ، منشورة في بعض خزائن كتب النجف ، نشره في مجلة مقالات ظهرت في مجلة «الاعتدال» النجفية^(٣) . وقد استل هذه المقالات من كتاب نفيس له ، يعنى بتأليفه في وصف أهم ما تحويه خزائن كتب العراق من مخطوطات .

* * *

وهناك غير ما ذكرنا ، فهارس لخزائن عراقية أخرى ، وقفنا على بعضها مخطوطة لدى اصحابها ، نذكرها فيما يأتي استتماماً للفائدة ورجاء ان يتحقق طبعها :

١ - فهرست مخطوطات المتحف العراقي : يشتمل على وصف مفصل لجميع المخطوطات

(١) Catal. des Mss. Syro - Chald. conservés Dans la Bibl. Episcopale de 'Aqra .

(٢) بدأت لغة العرب إستبتها الرابعة سنة ١٩١٢ صدر منها جزآن وبقي الثالث ، ثم دهمها الحرب الكبرى الأولى فاحتجبت ثم ظهرت سنتها الرابعة ثانية سنة ١٩٢٦ مبتدئة بالجزء الأول باغفال تسلسل الأجزاء المذكورة الصادرة قبل الحرب . فلينبه الى ذلك .

(٣) الاعتدال (٥) [١٩٣٨ - ١٩٤١] ص ٥٧ ، ١١٣ ، ١٧٤ ، ٢٧٣ ، ٢٣٣ ،

٩٥٧٢ [١٩٤٦] ص ٢٣٨ ، ١٥٥ ، ٢٧٥ .

العربية والفارسية والتركية والسريانية والعبرية المحفوظة في خزانة كتب المتحف العراقي • 'عني' بتأليفه بالعربية الدكتور مصطفى جواد و كور كيس عواد • ويتألف هذا الفهرست من ثلاثة اجزاء ، فيها وصف نحو من اربعائة مخطوطة ، وستشرع مديرية الآثار القديمة العامة العراقية في طبعه عما قريب •

٢ - فهرست مخطوطات دير الكرملين ببغداد : صنفه بالعربية العلامة الأب انتاس ماري الكرملي • وهو في ثلاثة مجلدات كبار ، نصف بايجاز نحواً من ١٥٠٠ مخطوطة • وكان مؤلفه قد نشر اقساماً منه في وصف المخطوطات النصرانية في هذه الخزانة ، في نيّف وعشرين مقالة ظهرت كلها في « نشرة الاّحد » المجلّة الاسبوعية المعروفة التي كانت تصدر في بغداد ^(١) •

٣ - فهرست مخطوطات قلاية الموصل وكنائسها السريانية : للبطريرك اغناطيوس افرام الأول برصوم • وهو بالعربية •

٤ - فهرست مخطوطات دير مارمّتي وكنائس القرى التابعة له : للبطريرك افرام برصوم • وهو بالعربية ايضاً •

وهذان الفهرسان الأخيران ، لم اقف عليهما ، وإنما رأيت مؤلفهما العلامة يشير اليهما في بعض تأليفه ^(٢) •

٥ - فهرست خزانة الدار البطريركية الكلدانية بالموصل : وضعه بالفرنسية الخوري اسطيقيان كچو ، على غرار الفهرست الذي صنفه المطران ادي شير لهذه الخزانة • فان نقاد نسخ فهرست ادي شير منذ زمن بعيد ، وحصول زيادة على مخطوطات هذه الخزانة ، اوجبا وضع هذا الفهرست الجديد الذي ننتظر ان 'ينشر بالطبع يوماً ما •

٦ - فهرست مخطوطات خزانة عواد ببغداد ، ألفه بالعربية صاحبها هذه الخزانة ،

(١) نشرة الاّحد (المجلدات ٨ ، ٩ ، ١٠ الصادرة سنة ١٩٢٩ - ١٩٣١) •

(٢) الاولو المنتور في تاريخ العلوم والآداب السريانية (ج١ ص ١٢٤ ، رقم ٢٥٦) •

كور كيس عواد واخوه ميخائيل عواد . وقد وصفنا فيه المخطوطات العربية والفارسية التركية والسريانية ، وعددها جميعاً ٢٣٤ مخطوطة .

٧ - فهرست خزانة كتب آل باش اعيان العباسي بالبصرة : للاستاذ علي اقافي . وقد شرع بنشره في مجلة « الغري » النجفية ، فظهرت منه جملة اقسام والامل ان يتم نشره بكامله .

* * *

على ان هنالك فهارس او قوائم غير ما ذكرنا ، لم نتمكن من حصرها هنا ، إما لأننا لم نستطع الوقوف عليها ، أو لأنها موضوعة بوجه لا يصلح ان تنشره . ومما يمكن من أمره ، في بلدان العراق كنوز خطية مجهولة لدى كثير من العلماء والباحثين ، يحسن ان يذاع امرها ويعلن عنها للحلأ ، فتدرس دراسة وافية تليق بها .

ففي بغداد والنجف وكر بلاء والبصرة والموصل وغيرها من المدن ، بمخطوطات لا تحصى ، تنتظر من يعنى بأمرها ويخرجها من مكانها ، ويفتح للناس سبيل معرفتها والوصول اليها . وليس من وسيلة تبسر ذلك غير نشر فهارس محكمة لها .

كور كيس عواد

(بغداد)

مجموعة اشعار مصيبة المباني مفضضة المعاني

في خزانة كتب مسجد احمد باشا الجزائر في مدينة عكا مجموعة خطيه
تحتوي على عدة رسائل صغيرة الحجم نسخها احمد بن سليمان المفتي الشافعي في
٢١ ربيع الأول من سنة ١١٨٨ الهجرية وفي أولها رسالة بدون امم او عنوان
جاء في مقدمتها :

بسم الله الرحمن الرحيم .

قال الفقير الى رحمة ربه الغني مسعود بن احمد الشافعي رحمه الله تعالى
الحمد لله موسع العطاء مسبغ الغطاء مسبغ النعم والآلاء الم محمود على السراء
والضراء المشكور في الشدة والرخاء أحمدوه ولا محمود على الحقيقة سواء وأشكروه
شكر الذاكرا الأوتاه وصلى الله على سيدنا محمد نبيه المرسل من خير العناصر
اصطفاه ومن أكرم الآباء والأجداد اجتباها صلى الله عليه وعلى آله واصحابه
خير آل وأشرف اصحاب واتقاه وعلى الخلفاء الراشدين الأئمة المجتهدين ومن
استن بسفنه وهداة .

وبعد فاني لما نظرت في علم العربية ووقفت على دقائقه وحقائقه وراجعت كتب
العلماء وتسمائهم وجدتها مشتملة على أبيات من الشعر مصيبة المباني مفضضة المعاني
قد ألغز قائلوها اعرابها ودفن في غامض الصنعة صوابها وهي في الظاهر فاسدة
قبيحة وفي الباطن جيدة صحيحة .

وقد كان العلماء المتقدمون كالأصمعي وغيره يتساءلون عنها ويتفاخرون بها
أردت ان أجمع منها ما تيسر لأوضح مشكله وأبين مجمله مشيراً الى موضع

التسكعة منه غير مشتغل بإيراد النظائر والأمثال فيفضي الى الضجر والملال
فيكون ذلك داعياً للنظر فيه وأنساً لحافظيه وتأمليه وأقدم على ذلك الكلام
بإعراب حديث عنه صلى الله عليه وسلم فتكثر فائدته وتعظم بركته وجعلته
برسم اخزانة المولوية السلطانية الملكية الكاملة أدام الله ملكها اذ كان
الله سبحانه وتعالى قد خصه من العلم بأوفر نصيب وحاز قدحه منه بالسهم المصيب
لا سيما علم العربية الذي هو مفتاح الفهوم ومسر العلوم والسبب الموصول الى علم
البيان المطالع على دقائق معاني القرآن قد خصه الله بالفضل العميم والقلب الرحيم
حتى شهدت له بذلك الضمائر والقلوب واستوجبت شكر نعمه في الحضرات
والغيوب وأقرت بالتقصير عن ادراك مداه فاعترفت بأنه لا يصلح لملك الدنيا
مالك إلا إياه فأسبغ عليه نعمته وفضلها كما بسط في العباد طوله وعدله وجعل
بقائه ما بقي الأبد وملك مملكته في النفس والولد .

القول على ما روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال :

« إِنْ مِنْ أَمْنٍ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صَحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ »

وبعد ان توسع في اعراب هذا الحديث الشريف المشرف للصديق رضي الله
عنه تناول الآيات التالية ونقلها بنصها وشكلها .

لشاعر : إِنْ مِنْ يَدْخُلِ الْكَنِيسَةَ يَوْمًا فهوَ بَلْقَى جَاذِرًا وظيباء
ما أنشد سيبويه :

كَأَنَّكَ مِنْ جَمَالِ بَنِي أَفْيشَ بقعقع خلف رجله بشف
ما أنشد سيبويه :

وما الدهرَ إِلَّا تَارَاتُفٌ فَمِنْهَا أموت وأخرى اجنَى عيشة الرخا
ما أنشد علي الفارسي :

لَا تَيْأَسَنَّ وَكُنْ فِي اللَّهِ مُحْتَبًا فبينما أنت ذا يَأْسٍ ألقى الفرجا
ما أنشد علي الفارسي :

سأترك مهرتي رجل فقير وأركب في الحوادث مهرتان^(١)
 مما أنشد بعض العلماء :

دجاجتان وبطتان كما ركب المهلب بغل ثافت^(٢)
 مما أنشد علي الفارسي :

فرعون مالي وهامان وقد زعموا اني بجات بما يعطيه قارونا
 مما أنشد ابن السكيت :

قال زبير سمعت صاحب بكر للشاعر: لا يكون العير مهرأ
 قائل قد وقعت في اللاؤاء لا يكون المهر مهرأ
 مما أنشد بعض الفقهاء :

صل حبابي فقد سمنت الجفاه يا فتولي واحفظ علي الإخاء
 مما أنشد بعض العلماء :

ميهات قد سفت أمة رأيا واستهبت سفهاؤها حلأوها
 حرب ترددهم بينهم قد كفت آباؤها أبناؤها
 مما أنشد بعض العلماء :

كساني أبي عثمان ثوبان للوغى وهل ينفع الثوب الرقيق لدى الحرب
 مما أنشد بعض العلماء :

فلو ولدت فقيرة جرو كلب لسب بذلك الجرو الكلابا
 لشاعر: أبا الكوز فاشرب قهوة بابلية لها في عظام الشاربين ديب
 مما أنشد بعض العلماء :

لقد قال عبد الله شر مقالة كفى بك يا عبد العزيز حبيبها
 لشاعر: ستعلم أنه يأتيك بكر وأن أخوك فيه من اللغوب

لبعض العلماء :

لقد قال عبد الله قولاً عرفتُه أنا في أبي داود في صرائع خصب
 لشاعر: أنا علي في ديار محمد وفارقنا عمرو ومراً بنا بكر
 قال أنا ثنية أنا مضاف إلى علي وفارق فعل ماضٍ وقنا فاعل وعمرو مضاف إليه
 ومراً فعل ماضٍ أيضاً وبنا فاعل وبكر مضاف إليه .
 ما انشد ابن أسد :

رأيتُ عبدَ الله يضربُ خالدَ وأبا عميرةُ بالمدينةِ يضربُ
 ما انشد ابن أسد :

وإنا رُعاقُ للسيوفِ أكارماً سميتُ فوأها الأقربون على قرب
 لشاعر: أقولُ لخالدَ يا عمرو لما علقتنا بالسيوفِ المرفقاتُ
 قال عاتقُ ناني السيوفُ والنابُ هو الجملُ المسننُ .

لشاعر: وأنتم معشرُ لثامٍ تلقى لديكم كل أذى وبؤس
 قال أن قوله معشر يعني أي مع شره ولكنه خفف لأقامة الوزن وبؤس
 مخفوضة بالعطف على شر .

وجاء على أعراب اثني وعشرين بيتاً آخر من هذا النوع ومن جملتها هذا البيت :

قيل لي انظرُ إلى السهامِ تجدُها طائراتٍ كما يطيرُ الفراشا

وبعدُ : فأننا لم نطلع على ترجمة مؤلف هذا الكتاب الصغير الذي يرجع أنه
 لم يمثل بالطبع بعد وعلى كل حال فهو مما ألف برسم خزانة الملك الكامل ابن
 الملك العادل من بني أيوب وقد ولي الملك بمصر سنة ٦١٥ هـ وتوفي في شهر رجب
 من سنة ٦٣٥ هـ « ١٢٣٨ م » فيكون من مؤلفات القرن السابع الهجري والثالث
 عشر الميلادي .

عبد الله مخلص

مخطوطات ومطبوعات

ظهر الدين البیهقي : تاريخ حکماء الاسلام

عفی بشره وتحقیقه الأستاذ محمد کرد علی رئیس الجمع العلمی العربی بدمشق
وهو من مطبوعات الجمع ، طبع بمطبعة الترقی بدمشق عام ١٩٢٦ ، عدد صفحاته (٢٠٤)

اسم هذا الكتاب بالتحقیق : (نعمة صوان الحكمة) ، كما جاء في ترجمة مؤلفه
في معجم الأدباء . وانما سمي مؤخرأ : (تاريخ حکماء الاسلام) لاقتصاره على ترجمة
فلاسفة الاسلام من رجال القرن الثالث والرابع والخامس والسادس . وقد نسج
مؤلفه فيه على منوال أبي سليمان المنطقي السجستاني في كتابه : (صوان الحكمة) ،
إلا ان كل من ذكره ابو سليمان لم يترجم له البیهقي لاعتقاده ان اباسليمان قد
أنصف في ذكره ، فجاء كتابه مقصوداً على ترجمة مائة واحد عشر حکماً ومهندساً
وطیباً وفلسفياً ومنجماً من ابناء الشرق القريب . فليس فيه اذن ذكر لفيلسوف
من فلاسفة اليونان ، ولا ترجمة لحکیم من حکماء الأندلس .

وربما كان تاريخ الحکماء للقفطي أتم واكمل من كتاب ظهر الدين البیهقي ،
إلا ان البیهقي صنف كتابه قبل القفطي بمائة سنة . وترجم الحکماء لم يتعرض لهم
غيره . فله في ذلك فضل التقدم ، وله ايضاً مزبة خاصة لا يشاركه فيها كتاب
آخر ، وهي اشتغاله على تراجم بعض المعاصرين ممن عرفهم البیهقي واتصل بهم وعاشهم
كالفيلسوف حجة الحق عمر بن الخيام ، والامام محمد الشهرستاني ، والامام احمد بن حامد
اليسابوري ، والامام محمد الحارثان السرخسي ، وغيرهم .

وأحسن ما في الكتاب ترجمة ابن سینا . فقد توسع فيها المؤلف خاصة ،
واكثر من اخبار الشيخ الرئيس ، وذكر تلاميذه ومعاصريه وما جرى بينهم من
المناطرات والمشاجرات كالفيلسوف ابی الفرج بن الطیب الجائليق ، والحکیم ابی القاسم

الكرماني ، وإبي الريحان البيروني وغيرهم . وهذه الأخبار تصور لنا عصر ابن سينا
 أحسن تصوير ، وتبين لنا كيف كانت مدن الشرق تنعج بالفلاسفة ، وكيف
 كان الملوك والأمراء يرتبطون الحكماء والأطباء ويشاركونهم في العلم .
 أشار الأستاذ الرئيس محمد كرد علي الى ذلك كله في مقدمة الكتاب ، ثم قال :
 وقد عرفنا من كتاب المؤلف « ان التعصب كان بعيداً جداً عن الحكماء ، وعهدنا
 بأكثر المؤلفين في تلك القرون بترجمون لأهل الاسلام كما يترجمون لمن لم يتحل
 ملته بدون غرض ولا هوى » وقال أيضاً : « وأتانا هذا الكتاب ببرهان
 آخر على ان المدنية الاسلامية وحدة لا تتجزأ ، وان كل قطر متمم للآخر
 الأخرى ، فاذا كانت خراسان خصت برجال الحكمة ، فان الأقطار السائرة أخرجت
 رجالاً في فروع العلم غير قليلة » (ص : ٧ - ٨) . وقال أيضاً : « ترجم البيهقي
 من ترجم لهم بإيجاز . . . وانا لنجد من الأخبار في هذه التراجم المختصرة ما لا نجد
 من تراجمهم في بعض كتب السير المطولة . ومن أهم ما حرص على ذكره ما أثر
 لهم من حكم لطيفة أهم بالتقاطها أكثر من اهتمامه بتدوين سني ولاداتهم ووفياتهم .
 وقد بفضل ترجمة الرجل وبكتفي بنقل ما عني اليه من كلام جميل » .
 فمن الحكم الدالة على فلسفة ذلك العصر ما نقله المؤلف من حكم القاضي
 الفيلسوف محمد الأفضل عبد الرزاق التركي (ص : ١٣) . قال : « إذا
 أردت ان تعرف مثلاً لترتيب الوجود فانظر الى الخليفة بنصب السلطان ،
 والسلطان بنصب الوزير ، والوزير بنصب الأمير ، والأمير بنصب الوالي ، والوالي
 بنصب القاضي ، والقاضي بنصب الموزي والعدول » . فهذا القول يشير الى ترتيب
 الوجود في نظر ابن سينا وغيره من فلاسفة الاسلام ، يدل على تأثير الحياة السياسية
 والاجتماعية في النظريات الفلسفية . فكان المبدأ الأول في نظرية الفيض هو
 الخليفة وكان العقل الأول هو السلطان ، وكان العقل الثاني هو الوزير .
 والكون أشبه شيء بدولة فصلت فيها القوة المدبرة عن القوة المحركة كما فصلت

القوة الروحية في المجتمع السيامي عن القوة التنفيذية ، والمبدأ الأول يخلق العقل الأول كما ينصب الخليفة السلطان ، والكواكب وأفلاكها تتحرك في السماء تسبيحاً لله تعالى كما يتحرك الأمراء والسلاطين في خدمة الخليفة المقيم في بغداد . وقصارى القول ان كتاب البيهقي عظيم الفائدة لأنه صور لنا ناحية جميلة من نواحي التفكير الاسلامي ، وكشف لنا النقاب عن حياة بعض الحكماء الذين لم يترجم لهم القنطري ولا ذكرهم ابن أبي أصيبعة وابن خلكان . وقد حقق الأستاذ الرئيس محمد كرد علي هذا الكتاب أحسن تحقيق ، وقدم له بمقدمة جامعة ، وشرح معانيه وعلق عليها ، وقارن بين ما أتناه به البيهقي وبين ما ذكره صاحب طبقات الأطباء وصاحب تاريخ الحكماء من الأخبار والسير . وختم الكتاب بفهارس في التراجم ، والأعلام ، والأمكنة ، والبقاع ، والشعوب ، والقبائل ، والمذاهب ، والكتب ، فجاء عمله هذا متقماً لكتب التراجم الأخرى ومفيداً البنا كثيراً من الحلقات المفقودة من تاريخ الفكر الاسلامي .

جميل صليبا

•••••

كريم عزقول : العقل في الإسلام

طبع بمطابع صادر في بيروت عام ١٩٤٦ ، عدد صفحاته ١٨٠ من القطع الوسط .

عنوان هذا الكتاب لا يدل بالضبط على موضوعه ، لأن عنوانه العقل في الإسلام ، وموضوعه البحث في قيمة العقل وحدوده عند الغزالي . ومن قراء هذا العنوان الضخم ظن أن المؤلف سيتكلم في كتابه عن قيمة العقل عند مفكري الإسلام ، جميعاً من الفقهاء والمفسرين ، والمحدثين ، والمتكلمين ، والفلاسفة والعلماء ، والكتاب ، المؤرخين ، والشعراء ، ولكن ليس في الكتاب شيء من هذا . وما ذكره المؤلف عن طريق المعرفة في الإسلام قبل الغزالي لا يروي غلة ، ولا يشفي غلة ، بل هو استعراض سريع لآراء الفلاسفة والمتكلمين والأثريين وأهل التعليم والمتصوفين لا يزيد على عشرين صفحة .

القوة الروحية في المجتمع السيامي عن القوة التنفيذية ، والمبدأ الأول يخلق العقل الأول كما ينصب الخليفة السلطان ، والكواكب وأفلاكها تتحرك في السماء تسبيحاً لله تعالى كما يتحرك الأمراء والسلاطين في خدمة الخليفة المقيم في بغداد . وقصارى القول ان كتاب البيهقي عظيم الفائدة لأنه صور لنا ناحية جميلة من نواحي التفكير الاسلامي ، وكشف لنا النقاب عن حياة بعض الحكماء الذين لم يترجم لهم القنطري ولا ذكرهم ابن أبي أصيبعة وابن خلكان . وقد حقق الأستاذ الرئيس محمد كرد علي هذا الكتاب أحسن تحقيق ، وقدم له بمقدمة جامعة ، وشرح معانيه وعلق عليها ، وقارن بين ما أتناه به البيهقي وبين ما ذكره صاحب طبقات الأطباء وصاحب تاريخ الحكماء من الأخبار والسير . وختم الكتاب بفهارس في التراجم ، والأعلام ، والأمكنة ، والبقاع ، والشعوب ، والقبائل ، والمذاهب ، والكتب ، فجاء عمله هذا متقماً لكتب التراجم الأخرى ومفيداً البنا كثيراً من الحلقات المفقودة من تاريخ الفكر الاسلامي .

جميل صليبا

•••••

كريم عزقول : العقل في الإسلام

طبع بمطابع صادر في بيروت عام ١٩٤٦ ، عدد صفحاته ١٨٠ من القطع الوسط .

عنوان هذا الكتاب لا يدل بالضبط على موضوعه ، لأن عنوانه العقل في الإسلام ، وموضوعه البحث في قيمة العقل وحدوده عند الغزالي . ومن قراء هذا العنوان الضخم ظن أن المؤلف سيتكلم في كتابه عن قيمة العقل عند مفكري الإسلام ، جميعاً من الفقهاء والمفسرين ، والمحدثين ، والمتكلمين ، والفلاسفة والعلماء ، والكتاب ، المؤرخين ، والشعراء ، ولكن ليس في الكتاب شيء من هذا . وما ذكره المؤلف عن طريق المعرفة في الإسلام قبل الغزالي لا يروي غلة ، ولا يشفي غلة ، بل هو استعراض سريع لآراء الفلاسفة والمتكلمين والأثريين وأهل التعليم والمتصوفين لا يزيد على عشرين صفحة .

أما ما بقي من الكتاب فهو مشتمل على قيمة العقل وحدوده عند الغزالي ، اثنانا المؤلف فيه بشيء عن حياة الغزالي ثم ذكر موقفه العام من المعرفة على الاطلاق ونكلم عن شكه في العلم وعن كيفية خروجه من الشك ورجوعه الى اليقين ، ثم أشار الى رأيه في قيمة العقل ومباني المعرفة وميزان النظر وحدود العقل في الأدبيات والغيبيات وموقفه من علم الكلام والفلسفة وطريقة الصوفية . كل ذلك بعبارة واضحة وأسلوب حسن وتبويب جيد .

ولعل الصفة الأساسية البارزة في هذا الكتاب هي دفاعه عن ايمان الغزالي بالعقل ومباني المعرفة . فالغزالي في نظر المؤلف يعتقد أن مباني المعرفة ضرورية بقبينة بقرها العقل من دون برهان لمجرد حضورها في الذهن وهي تفرض نفسها على العقل بنفسها وتستمد قيمتها من ذاتها لا من معونة خارجية .

نعم ان الغزالي يصرح بأن نفسه قد عادت الى الصحة والاعتدال بنور قدذه الله في الصدر ، وان الخلق كلهم يتعدون العلم من الرسل ، وان الامام الذي علمنا الموازين هو امام الاثمة محمد بن عبد الله (القسطاس المستقيم ص ٢٢) مما يوحى ان هناك معونة خارجية ولكن هذه الأقوال لا تنكفي لحملنا على الاعتقاد ان محك المعرفة الأخير عند الغزالي هو عامل خارجي . اذ ان أثر المعلم مقصور على الارشاد الى مباني المعرفة والتنبيه اليها . وسواء أفطن العقل الى هذه المباني عن طريق التعليم أم اقتنع بها عن طريق النظر والتجربة والاختبار فانه لا يعتمد صحتها الا لوضوحها بذاتها ، فالتعليم لا يفتي العقل ، بل يقتضيه ويوجهه (ص ١٠٦) . والمحك الأخير لمباني المعرفة انما هو الوضوح والبدهة ، اما المعونة الخارجية فلا تنفع الا على سبيل الدعم والتثبيت (١٠) . وما صب النور الالهي على مباني العقل ليكسبها وضوحها ولكن ليزيل عنها مداخل السفسطة ويعيد النفس الى الصحة والاعتدال . ولولا مداخل الشك لما احتاج العقل الى هذا النور . فالغزالي في نظر المؤلف لبس اذن ربلياً ، بل هو من انصار الاثبات العقلي ، والعقل في نظره

آلة سليمة ضرورية لاقتناص المعرفة ، أساسه الضروريات وسبيله النظر وميزانه قواعد المنطق ومحكمه الوضوح واليقين .

وهذا كله صحيح . اننا نعتقد مع المؤلف ان الغزالي يؤمن بصلاح النظر ومنفعته ، وصدق العقل في حكمه على أمور التجربة ولكننا نخالفه في زعمه ان العقل المجرد عن الشرع يصلح في نظر الغزالي للخوض في مسائل ما بعد الطبيعة . لقد قال ابن خلدون ان الميزان الذي يوزن به الذهب لا توزن به الجبال ، وقال الغزالي ان من وزن الذهب بميزان يمكنه ان يزن به الفضة وسائر الجواهر ، فهل يفهم من هذا القول ان الغزالي لم يجدد نطاق العقل ؟ ان الفضة وسائر الجواهر هي والذهب من جنس واحد ، فلا غرر اذا قال الغزالي انها توزن بنفس الميزان . اما مسألة الصفات الالهية وقدم العالم وبقاء النفس بعد الموت ، ومسائل الحشر والنشر فهي من الأمور التي لا يحكم العقل فيها الا بظن وتخمين من غير تحقيق ويقين (التهاوت ص ٨) .

لقد أعدت قراءة التهاوت والمنقذ من الضلال والقسطاس المستقيم ، وغيرها من كتب الغزالي فلم أجد فيها ما يسمح بالقول ان العقل قادر على ادراك مسائل ما بعد الطبيعة ، بل خلصت من ذلك الى نتيجة ذكرتها في غير هذا المكان وهي ان الغزالي يؤمن باحكام العقل ويرى انها صادقة في أمور التجربة وما يتصل بها ، أما الأمور الالهية فهي من طور فوق طوره . وكتبه مملوءة من الأقاويل التي تدل على عجز العقل عن ادراك اسرار الحقائق الالهية . فقد قال :

« وبفساد ذلك يفسد هذا كله على من يأخذ هذه الأمور من نظر العقل . جميع ما ذكره من صفات الأول او نفوه لاجحة لم عليه الانتميات وظنون تستكشف الفقهاء منها في الظنيات . ولا غرو لو حار العقل في الصفات الالهية ولا عجب . انما العجب من عجبهم بأنفسهم وبأدلتهم ومن اعتقادهم انهم عرفوا هذه الأمور معرفة يقينية مع ما بها من الخبط والخيال » (تهاوت ص ٥٣) .

وقال أيضاً :

« وهكذا يفعل الله بالزائعين عن سبيله ، والناكبين عن طريق الهدى ، المنكرين لقوله تعالى ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم ، الظانين بالله ظن السوء المعتقدين أن أمور الربوبية تستولي على كنهها القوى البشرية المغرورين بعقولهم زاعمين أن فيها مندوحة عن تقليد الرسل وأتباعهم » (تهافت ص ٣٠) .

وقال أيضاً :

« فاستجمالة هذا لا تعرف بضرورة ولا نظر . وقد وردت به الأنبياء والمؤيدون بالمعجزات . فيجب قبوله منهم . وأما البحث عن كيفية صدور الفعل من الله بالإرادة ففضول وطمع في غير مطمع » (تهافت ص ٣٢) .

وقال أيضاً :

« فلتقبل مبادي هذه الأمور من الأنبياء وليصدقوا فيها فإن العقل ليس يحيلها ، ولترك البحث عن الكيفية والسكية والمادية فليس ذلك كما تنسع له القوى البشرية . ولذلك قال صاحب الشرع تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في ذات الله » (تهافت ص ٣٣) .

وقال أيضاً :

« ففي الناس من يذهب الى أن حقائق الأمور الإلهية لا تتنازل بنظر العقل ، بل ليس في قوة البشر الاطلاع عليها » (تهافت ص ٤٤) .

وقال أيضاً :

« وإن هذا ان كان صحيحاً فلا يطلع عليه الا الأنبياء بالهام من الله أو وحي وقياس العقل ليس يدل عليه » (تهافت ص ٥٧) .

وقال أيضاً :

« وما ذكرتموه وإن اعترف بإمكانه ، فلا يعرف وجوده ولا يتحقق كونه وإنما السبيل فيه ان يتعرف من الشرع لا من العقل » (تهافت ص ٦٢) .

وقال أيضاً :

« ومن الأشياء ما تعرف استحالة ومنها ما يعرف امكانه ، ومنها ما يقف العقل عنده فلا يقضى فيه باستحالة ولا امكان » (تهافت ٦٩) .

وقال أيضاً :

« وانما انكرنا عليهم من قبل دعواهم معرفة ذلك بمجرد العقل » (تهافت ٨٤) فهذه الاقوال وغيرها تدل على ان العقل عاجز في نظر الغزالي عن الوصول الى حقائق ما بعد الطبيعة وانه لا يطلع عليها الا عن طريق الوحي ، وانه بعد الاطلاع عليها من الشرع يحكم النظر فيها لتفهمها . فهو اذن آلة صحيحة الا انه مقيد في مسائل ما بعد الطبيعة بقيود الوحي والالهام .

واعتقد ان المؤلف اراد ان ينقذ الغزالي مما وصم به من احتقار العقل فبين لنا أولاً ان العقل عنده ميزان صادق ثم بين لنا ثانياً ان اطاق العقل عنده غير محدود فأصاب في الأولى واخطأ في الثانية .

وفي كتابه بعض الهنات اللغوية والنحوية كقوله في ترجمة « Tabula Rasa » (الطاولة المراءة) وصوابه الصفحة الصقيلة أو الصفحة البيضاء لأن (طاولة) لاوجود لها في لغة العرب . وقوله : فلن نشكر على الأكل ان معرفة الله وشكر نعمته مثلاً (امرئين حسنين) بحكم العقل ، وصوابه (امرآن حسنان) . وقوله : ولكن هاتين الدعوتين (واهيتين) ، وصوابه (واهيتان) الى غير ذلك من الهنات التي لا ينبغي لمثله الوقوع فيها .

ج . ص

ديوان ابن عني

شرف لدين ابي المحاسن محمد بن نصر الأنصاري الدمشقي

عني بفسره وتحقيقه الأستاذ خليل مردم بك

هذا الديوان من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ، وهو يقع مع مقدمته

في ما يزيد على ثلاث مئة صفحة ، مطبوع طبعاً حسناً على ورق صقيل .

وقال أيضاً :

« ومن الأشياء ما تعرف استحالة ومنها ما يعرف امكانه ، ومنها ما يقف العقل عنده فلا يقضى فيه باستحالة ولا امكان » (تهافت ٦٩) .

وقال أيضاً :

« وانما انكرنا عليهم من قبل دعواهم معرفة ذلك بمجرد العقل » (تهافت ٨٤) فهذه الاقوال وغيرها تدل على ان العقل عاجز في نظر الغزالي عن الوصول الى حقائق ما بعد الطبيعة وانه لا يطلع عليها الا عن طريق الوحي ، وانه بعد الاطلاع عليها من الشرع يحكم النظر فيها لتفهمها . فهو اذن آلة صحيحة الا انه مقيد في مسائل ما بعد الطبيعة بقيود الوحي والالهام .

واعتقد ان المؤلف اراد ان ينقذ الغزالي مما وصم به من احتقار العقل فبين لنا أولاً ان العقل عنده ميزان صادق ثم بين لنا ثانياً ان اطاق العقل عنده غير محدود فأصاب في الأولى واخطأ في الثانية .

وفي كتابه بعض الهنات اللغوية والنحوية كقوله في ترجمة « Tabula Rasa » (الطاولة المراءة) وصوابه الصفحة الصقيلة أو الصفحة البيضاء لأن (طاولة) لاوجود لها في لغة العرب . وقوله : فلن نشكر على الأكل ان معرفة الله وشكر نعمته مثلاً (امرئين حسنين) بحكم العقل ، وصوابه (امرآن حسنان) . وقوله : ولكن هاتين الدعوتين (واهيتين) ، وصوابه (واهيتان) الى غير ذلك من الهنات التي لا ينبغي لمثله الوقوع فيها .

ج . ص

ديوان ابن عني

شرف لدين ابي المحاسن محمد بن نصر الأنصاري الدمشقي

عني بفسره وتحقيقه الأستاذ خليل مردم بك

هذا الديوان من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ، وهو يقع مع مقدمته

في ما يزيد على ثلاث مئة صفحة ، مطبوع طبعاً حسناً على ورق صقيل .

واين عنين شاعر دمشق ، ووزير من وزرائها ، وسفير من سفرائها ، فهو بذلك من رجالات السياسة في عصره ، وحامل راية شعره . وإذا شئت ان تعرف هذا الشاعر معرفة صحيحة ، فعليك بالمقدمة الممتعة التي وضعها الأستاذ المحقق الناشر . فانها تبرزه لك في صورة صادقة ، تعرف بها محاسنه ومعايبه ، وعلمه وأدبه ، وسياسته وأخلاقه ، ومزله بالشعر .

استمع له يقول فيه :

« قبل ان يولد ابن عنين بسنة واحدة ، مات شاعران انتهت اليها الرياسة في الشعر ببلاد الشام . هما ابن القيسراني ، وابن منير الطرابلسي . ولم يبق بعدهما من هو في طبقتها حتى نبغ ابن عنين ؛ فأشبه الأول ، بجزالته ومثاقته ، وضارع الثاني بالهجاء ونمش الأعراض . وفاقها بخفة الروح ، والدعابة والتمكيم والسخرية . حاكى في كثير من شعره جزالة المتقدمين ، ولكن الطابع الشخصي ، واللون المحلي ظاهران في شعره أشد ظهور ، وقل في الشعراء من تراءت على شعره صورة يئنه وزمانه كما تراءت على شعر ابن عنين . فأكثر قصائده تنادي على نفسها ان قائلها شاعر دمشقي عاش في العصر الأيوبي . »

وشعره كثير الفنون ، متعدد النواحي ، جم الأعراض ، وعناصره منتزعة من مصادر شتى ، يتجارى فيه طبع الشاعر ، وفن الصانع ، وتبين فيه مقدرة اللغوي ، وتهذيب العالم المثقف ؛ فهناك محسنات البيان والبديع ، وهناك استعمال مصطلحات العلوم من نحو وصرف ، ونقد وحديث ، ومنطق وطب ، وفلك وهندسة وحساب
اما لغته فجزالة منقحة اذا جدد ، وحفظه للمفردات وحسن انتقائه لها عجيب . . .
وهو على طول باعه في اللغة ، ومقدرته على حسن السبك ، ومثاقته الرصف ، وحسن ذوقه في انتقاء الفصيح ، لا يتخرج في مواضعه الهزلية من اللحن أو ما يشبهه ، واستعمال الألفاظ والتراكيب العامة الشائعة في دمشق لعصره ، مما له اصل فصيح أو لا . . .

الى ان يقول :

وأجل ما في شعره وأطرفه - في رأبي - الحنين الى دمشق ، والدعابة
والتهكم والسخرية .

قلنا : اما ان يكون اطرف ما في شعر الرجل ، الدعابة والتهكم والسخرية ،
فنعلم . ولو قال الناصر : وارق ما في شعر ابن عنين وأشعره ، الحنين الى دمشق
لقلنا له أيضاً : نعم . اما أجله ، فليس الحنين الى دمشق ، ولا هو الدعابة والتهكم
والسخرية ، ولكنه الشعر الذي قاله في واقعة دمياط . والذي يقول فيه الناصر نفسه :
« ٠٠٠ على ان لابن عنين موقفاً من انبل المواقف الثميرة المحموده في هذا
الباب ، وذلك في واقعة دمياط التي انجحت عن كسر الصليبيين سنة (٦١٨)
فاستجاشت الشعر في صدره وكان قد بلغ السبعين ٠٠٠ »

هذه القصيدة - في رأينا - هي عروس الديوان ، وآية الشاعر ، وأجل
ما قاله وأجزله وأفخره . وهذه بعض آياتها :

سلوا صهوات الخيل | يوم الوغى عنا | اذا جهلت آياتنا - والقنا الأعدا
غداة نقينا دون دمياط | جفلاً | من الروم لا يحمي بقينا ولا ظنا
قد اتفقوا رأياً | وعزموا وهمة | وديننا وإن كانوا قد اختلفوا أسنا

* * *

واطمعهم فينا غرور فارقلوا | الينا سراطاً بالجياد وارقلنا
فما برحت سمر الرياح تنوشهم | بأطرافها حتى استجاروا بنا منا
سقيناهم كأساً نفت عنهم الكرى | وكيف بنام الليل من عدم الأنا
لقد صبروا صبراً جميلاً ودفعوا | طوبلاً فما أجدى دفاع ولا غنى
لقوا الموت من زرق الأشعة أحمرأ | فالقوا بأيديهم الينا فاحسنا
منحنا بقاياهم حياة جديدة | فعاشوا بأعناق مقلدة منا
ولو ملكوا لم يأتوا في دماننا | ولو غا ولكننا ملكنا فاصحنا

* * *

وقد عرفت اسماؤنا رفاقهم | مواقعها فيها فان عاودوا عدنا

هذا الشعر العجيب المطرب ، السهل المنيع ، والفخر الصدق ، ليس من غيبة ورائه في الاحسان والابداع .

أما ما عناه الناشر في تصحيحه وتحقيقه ، من صعوبة في المعارضة والموازنة والمراجعة بين مختلف نسخ الديوان التي عثر عليها - وكلها ممسوخة مغلوطة - فشيء ليس بعرفه ، ويعرف قدره ومقداره ، إلا من تصفح الديوان ، ورأى هذه الروايات القلقة المضطربة التي أحالت الكلمات عن مواضعها وعن أصولها ، مما يستحيل أن يهتدي اليه إلا من أوتي من البصر بالأدب واللغة والشعر ، ما أوتيته الأستاذ الخليل .

وحبذا لو أن الأستاذ زاد في تفسير بعض الكلمات ، وفي شرح بعض المعاني ، وهو أمر كان يسيراً عليه في جانب الجهد الذي بذله في التنقيح والتصحيح . ولو أنه فعل لكان جمع بين الحسنيين ، ووجب له علينا الشكر مرتين . بل مرات .

عارف التكدى

كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسنة

تأليف عبد الرحمن بن نصر الشيرازي

يقع الكتاب في نحو من مئة وخمسين صفحة ، جيد الطبع والورق ، حسن الترتيب والتبويب . قام على نشره السيد الباز العربي : المدرس بمدرسة الخديوي اسماعيل الثانوية ، بإشراف الدكتور محمد مصطفى زيادة : أستاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعة فؤاد الأول . نجاء هذا الكتاب في احسن ما يكون من التحقيق والتدقيق ، كما انه جاء دليلاً ناطقاً على ما أثر السلف وما كانوا عليه في حياتهم الاجتماعية من حضارة ونظام ، قد يكون أكثره مجهولاً عند أكثرنا . وفي اخراج هذا السفر ومدارسته ، احياء اعدد غير قليل من المقدرات العربية ، والمصطلحات الفنية ، مما نحن في أشد الحاجة الى مثله .

وهذه جملة مما قاله الدكتور زيادة ، في تصدير الكتاب ، تظهر مزاياه ، وتفصل ما أجملناه . قال :

هذا الشعر العجيب المطرب ، السهل المنع ، والفخر الصدق ، ليس من غيبة ورائه في الاحسان والابداع .

أما ما عناه الناشر في تصحيحه وتحقيقه ، من صعوبة في المعارضة والموازنة والمراجعة بين مختلف نسخ الديوان التي عثر عليها - وكلها ممسوخة مغلوطة - فشيء ليس بعرفه ، ويعرف قدره ومقداره ، إلا من تصفح الديوان ، ورأى هذه الروايات القلقة المضطربة التي أحالت الكلمات عن مواضعها وعن أصولها ، مما يستحيل ان يهتدي اليه إلا من أوتي من البصر بالأدب واللغة والشعر ، ما أوتيته الأستاذ الخليل .

وحبذا لو أن الأستاذ زاد في تفسير بعض الكلمات ، وفي شرح بعض المعاني ، وهو أمر كان يسيراً عليه في جانب الجهد الذي بذله في التنقيح والتصحيح . ولو انه فعل لكان جمع بين الحسنيين ، ووجب له علينا الشكر مرتين . بل مرات .

عارف التكدى

كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسنة

تأليف عبد الرحمن بن نصر الشيرازي

يقع الكتاب في نحو من مئة وخمسين صفحة ، جيد الطبع والورق ، حسن الترتيب والتبويب . قام على نشره السيد الباز العربي : المدرس بمدرسة الخديوي اسماعيل الثانوية ، بإشراف الدكتور محمد مصطفى زيادة : أستاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعة فؤاد الأول . نجاء هذا الكتاب في احسن ما يكون من التحقيق والتدقيق ، كما انه جاء دليلاً ناطقاً على ما أثر السلف وما كانوا عليه في حياتهم الاجتماعية من حضارة ونظام ، قد يكون أكثره مجهولاً عند أكثرنا . وفي اخراج هذا السفر ومدارسته ، احياء اعدد غير قليل من المقدرات العربية ، والمصطلحات الفنية ، مما نحن في أشد الحاجة الى مثله .

وهذه جملة مما قاله الدكتور زيادة ، في تصدير الكتاب ، تظهر منزله ، وتفصل ما أجملناه . قال :

« وكتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة .. نبع من منابع التعريف بأحوال المجتمع الاسلامي عامة - والشرق الأدنى خاصة - في العصور الوسطى . وهو لذلك مورد من أقرب الموارد الصافية التي سيعترف منها المشتغلون بكتابة التاريخ الاسلامي حسب الأسس الجديدة .. »

غير ان أهمية الكتاب لا تنحصر في مجرد اسبقيته وافضلته على سائر الكتب المشابهة ، كما انها لا تستند الى افاضة مؤلفه في بيان ما ينبغي للمحتسب ان ينحلي به من الصفات ، أو يقوم عليه من مراقبة السوق والأسواق ، بل تظهر أهميته كذلك في ما جاء به من ذكر ما كان يقوم به اصحاب الحرف والصناعات من انواع الغش في مبيعاتهم ومعاملاتهم ، مما ينبغي لبعض احوال التجارة والتجار ، في عصر المؤلف على الأقل . يضاف الى ذلك ما بالكتاب من الحقائق الكاشفة عن كثير من مظاهر الحياة الاجتماعية في القرن الثاني عشر الميلادي ، كاستخدام النساء في تنظيف القطن والكتان على ابواب الحوانيت بالطريق العام ، وشغل نساء بغداد بالاختفاف التي نصر عند المشي لاجتذاب الأنظار . وفي الكتاب كذلك كثير من الألفاظ العربية الفصيحة والمولدة الصحيحة ، مثل الدوائر ونصاب الموضع والمزم ونحوها ، مما يغوص اهل العربية في بطون المطولات والأهمات لالتقاطه ... والذين يقيسون الكتب بما فيها من نسلية ، يجدون .. كثيراً من الأخبار الطريفة ... »

وهذا باب من الكتاب ، يعلن عن نفسه ، وبنوه بهذا النظام ، وبهذه الحضارة ، اللذين كانا عليهما السلف ، في حياته الاجتماعية : والباب هو الباب السادس وعنوانه : الحسبة على الخبازين :

« ... ينبغي ان ترفع سقائف حوانيتهم ، وتفتح ابوابها ، ويجعل في سقفوف الأفران منافس واسعة يخرج منها الدخان ، لئلا يتضرر بذلك الناس . واذا فرغ الخباز من احمائه ، مسح داخل التنور بخزقة نظيفة ، ثم شرع في الخبز . ويكتب المحتسب في دفتره اسماء الخبازين ومواقع حوانيتهم ، فان الحاجة

تدعوه الى معرفتهم ، وبأمرهم بنظافة اوعية الماء وتغطيتها ، وغسل المعاجن ، ونظافتها وما يغطي به الخبز ، وما يحمل عليه .

ولا يعجن المعجنات بقدميه ولا بركبتيه ولا برفقيه ، لأن في ذلك مهانة للطعام ، وربما قطر في المعجن شيء من عرق ابطيه وبدنه ، فلا يعجن الا وعليه ملعبة ^(١) او بشت مقطوع الاكمام ، ويكون ملثماً ايضاً ، لأنه ربما عطس او تكلم فقطر شيء من بصاقه او مخاطه في المعجن . ويحلق شعر ذراعيه لئلا يسقط منه شيء في المعجن . واذا عجن في النهار فليكن عنده انسان في يده مذبة يطرد عنه الذباب . هذا كله بعد نخل الدقيق بالمتاخذ السفيقة مراراً .

وبعد هذا فصل في منع الخبازين من غش الخبز ، وان لا يخبز حتى يخبثر ، فان الفطير ثقيل في الوزن والمعدة . .

ثم الباب السابع في الحسبة على القرائين : يفرقهم الخبث على الدروب والمال واطراف البعد . . . وبأمرهم بإصلاح المداخن ، وتنظيف بلاط الفرن في كل ساعة ، من اللباب المحترق ، والشرر المتطاير ، والرماد المتناثر ، لئلا يلحق في اسفل الخبز منه شيء . . .

وينبغي ان يكون له مخبزان : احدهما للخبز والاخر للسك ، ويجعل السك بمزول عن الخبز ، لئلا يسيل من دهنه على الخبز . ولا يأخذ من المعجن زيادة عما جعل له . . .

الى غير ذلك من الأبواب والفصول التي نتناول جميع اهل الحرف والمهن والصناعات المعروفة في عصرهم .

وأضاف الناشر الى الكتاب ثلاثة ملاحق ، اورد في الملحق الثالث من النصوص الفرنسية القديمة ما يدل على ان منصب الحسبة واعمالها ، انتقلت من الدولة الاسلامية الى المملكة الصليبية بيت المقدس . وقد نشرت هذه النصوص في ذيل الكتاب ، وعقب عليها بترجمتها الحرفية الى العربية .

ع . ن

(١) الملعبة الثوب من غير كم ، والبشت رداء من صوف يلبسه الفلاحون والنساء والمجانوني .

الجهاد السياسي

وضع الطيب عبد الرحمن الكيالي

يقع الكتاب في مئة صفحة أو تزيد . أراد المؤلف من كتابه على ما قال في كلمة الإهداء : « بحث الجهود السياسية التي بذلها رجالات سورية المجاهدون خلاص أمتهم » ، وتحرير بلادهم ، ودفع الفاصب عن وطنهم . . . » وعرف الأستاذ في مقدمة الكتاب : الجهاد السياسي ، وما يتطلبه ، والمقصود منه ، وكيف ينشأ ، وعلاقة السياسة بالوطنية ، وشروط الجهاد . ثم نوه بجهود سورية في الماضي والحاضر في سبيل استقلالها ، وبما كان لأهلها العرب من حضارة وفتوحات في جاهليتهم وفي اسلامهم .

وفي جملة ما قاله المؤلف : انه يزوال حكم العرب عن الشام ، بغلبة غيرهم عليه ، ضعفت فيه الحضارة ، وضعف العلم ، وان استبداد الأعاجم وعجزهم كان سبباً في بقلطة العرب ، وفي ما كان منهم من هذا الجهاد السياسي الذي يصفه . وتبسط المؤلف في ذكر العهد العثماني ثم عاد فأجمله بقوله : « حكم الرعية لمصلحة الراعي » ، وانه كان يقوم على « الاخضاع بالقوة » ، واخذ المال بالقوة ، وتسيير الأمور بالقوة » ، ولم ينكر على بعض السلاطين العثمانيين ما كانوا عليه من عدل وصلاح ، حالت دونها بطانة السوء ، وقال : « ان الترك لم يستعدوا لقبول التجدد والتحول » وأسهب في النهضة العربية ، وأشاد بعهد فيصل ، وبما كان فيه - على قصره - من جهاد سياسي . وان فيصلاً - رحمه الله - اذا لم يأت بالمعجزات ، فانه لم يقصر بالممكنات . وتعرض بالذكر للأسباب التي قضت بانتميار الحكم العربي في الشام ، فكان مما ذكره منها : ضعف الأخلاق ، وما نتج عنه من شراء فرنسة لضماير بعض السوريين ، وافسادها الأمر على فيصل ، بالقلقل والدسائس والفتن تهيئها ، وبالتعرات المذهبية والطائفية والجنسية تثيرها .

هذا وصف مجمل للكتاب ، وهو اذا لم يكن من الكتب التاريخية ، لأن صاحبه كتبه في معتقله ، حيث لم تكن تصل يده الى الكتب والوثائق يعتمد عليها ، ويستمد منها . ولأنه مكتوب بلغة الخطابة لا لغة التاريخ ، فالكتاب فائدته انه

ضم صفحات من صفحات الجهاد ، وصفحات من صفحات الاستعباد ، خليق بالعرب
ان يراجعوها ، وبالنشئة ان يعرفوها . فيعرفوا اي بلاء يحيق بالامة اذا حكمها
اجنبي عنها .

ع . ن

محاضرات نقابة المحامين

في السنة القضائية بحلب ١٩٤٥ - ١٩٤٦

كتاب يقع في قرابة ٥٥٠ صفحة من القطع الكبير . جيد الورق والطبع ،
والترتيب والتبويب . يضم ثمان عشرة محاضرة من امثع المحاضرات موضوعاً ،
وانصها أسلوباً ، ألقاها ثمانية عشر فاضلاً : أربعة منهم من رجال القضاء ، وأربعة عشر
من رجال المحاماة ، ويطول بنا الكلام ان نحن رحنا نعددها محاضرة محاضرة ،
ونصف ما فيها من الفوائد . ونظلم القاري ونسي الى انفسنا ان نحن نوهنا ببعضها
وأغفلنا البعض الآخر ، لذلك ندعو القراء ، ولا سيما القضاة والمحامين ، الى مطالعة
هذا السفر الجليل ، والاعتراف من مباحثه القيمة

ويحتل قلب الانسان غبطة وسروراً ، وهو يرى ما بلقته المحاماة في البلاد
السورية من علم صحيح ، وثقافة واسعة ، بعد ذلك الركود والجود ، وبعد ان كنت
لا تجد - قبل بضع سنين - الا في التذري من يحسن ان يعالج موضوعاً من
مثل هذه الموضوعات بشيء من العلم والفهم ، وبأسلوب عربي ، تفهم معه ، ما يراد منه .
ولا يسعنا الا ان نشكر للأستاذ الكوراني : نقيب المحامين ولزملائه اعضاء
النقابة الفاضلين ، هذا الجهد الموفق الذي كان سبباً في اخراج هذه المحاضرات .
كما نشكر المحاضرين : قضاة ومحامين ، حسن تحرير المحاضرات واجادتهم فيها :
موضوعاً وبياناً .

ع . ن

عصر السربان الذهبي

للفيكت فيليب دي طرازي

طبع بمطبعة جدعون في بيروت سنة ١٩٤٦ في ١١٩ صفحة

هذا كتاب وضعه صدبقتا ودرصفتنا المؤلف بعد ان بحث موضوعه في المطان

م (٦)

ضم صفحات من صفحات الجهاد ، وصفحات من صفحات الاستعباد ، خليق بالعرب
ان يراجعوها ، وبالنشئة ان يعرفوها . فيعرفوا اي بلاء يحيق بالامة اذا حكمها
اجنبي عنها .

ع . ن

محاضرات نقابة المحامين

في السنة القضائية بحلب ١٩٤٥ - ١٩٤٦

كتاب يقع في قرابة ٥٥٠ صفحة من القطع الكبير . جيد الورق والطبع ،
والترتيب والتبويب . يضم ثمان عشرة محاضرة من امثع المحاضرات موضوعاً ،
وانصها أسلوباً ، ألقاها ثمانية عشر فاضلاً : أربعة منهم من رجال القضاء ، وأربعة عشر
من رجال المحاماة ، ويطول بنا الكلام ان نحن رحنا نعددها محاضرة محاضرة ،
ونصف ما فيها من الفوائد . ونظلم القاري ونسي الى انفسنا ان نحن نوهنا ببعضها
وأغفلنا البعض الآخر ، لذلك ندعو القراء ، ولا سيما القضاة والمحامين ، الى مطالعة
هذا السفر الجليل ، والاعتراف من مباحثه القيمة

ويستلي قلب الانسان غبطة وسروراً ، وهو يرى ما بلقته المحاماة في البلاد
السورية من علم صحيح ، وثقافة واسعة ، بعد ذلك الركون والجود ، وبعد ان كنت
لا تحجد - قبل بضع سنين - الا في التذري من يحسن ان يعالج موضوعاً من
مثل هذه الموضوعات ، بشيء من العلم والفهم ، وبأسلوب عربي ، تفهم معه ، ما يراد منه .
ولا يسعنا الا ان نشكر للأستاذ الكوراني : نقيب المحامين ولزملائه اعضاء
النقابة الفاضلين ، هذا الجهد الموفق الذي كان سبباً في اخراج هذه المحاضرات .
كما نشكر المحاضرين : قضاة ومحامين ، حسن تحرير المحاضرات واجادتهم فيها :
موضوعاً وبياناً .

ع . ن

عصر السربان الذهبي

للفيكت فليب دي طرازي

طبع بمطبعة جددون في بيروت سنة ١٩٤٦ في ١١٩ صفحة

هذا كتاب وضعه صدبقتا ودرصيفتنا المؤلف بعد ان بحث موضوعه في المطان

م (٦)

المعتبرة . والسريان الذين كتب هذا المختصر في نشأتهم وعلاقتهم بالأمة القديمة وما أقاموه من معالم الحضارة وتعاليم الدين وما أبدعوه في الفنون الجميلة وشادوه من اديار وخزائن كتب وألفوه من كتب وترجموا من علوم - قبل الاسلام وبعده - هذه الأمة حرية ان يكتب تاريخها وما تاريخها الاجزاء من التاريخ العربي يصح ان يدعى بهذا الاسم منذ قام رجال العلم فيهم وخرجوا ابناءهم في العلوم وتوفروا على نقلها للسانهم من الألسن الأخرى ونقلوا الى العربية ما كان عندهم منها . « ففخوا منذ المائة الرابعة للتاريخ المسيحي عصرأ سميذاً ذهبياً بما انشأوه من المدارس الشهيرة والمعاهد الفخمة والمكتبات الزاهرة وبين المحبوه من الأعلام ... وظل يسطع نور عصرهم الذهبي حتى القرن السابع بل امتد الى القرن الثامن وتوسع بعضهم فقال الى القرن التاسع . ثم عادت فبزغت انوار ذلك العصر الذهبي الميمون في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للميلاد » .

« ولقد ذهب رهب من اهل البحث الى ان السريان هم الذين استنبطوا الكتابة لأن بلاد الفونيقيين الذين علموا الكتابة لليونان لبست الابدعة صغيرة من بلاد السريان اشهر مدنها صور وصيدا وبيروت وجبيل . والفونيقيون كما هو ثابت كانوا أمة شامية اي سريانية . وكانت لغتهم اما سريانية محضة واما قريبة الى السريانية اكثر من سائر اللغات الشامية » « انتشر السريان انتشاراً عجيباً لا في اقطار سوريا وما بين النهرين والعراق وبلاد فارس ومبار بل في الأنحاء اللبنانية » و « أجمعوا على ان عدد السريان في القرنين العاشر والحادي عشر فاهز المليونين من النفوس اما عدد الملكيين في تلك الحقبة فلم يتجاوز النصف مليون . . والموارنة اربعين الفا » و « عمت عقيدتهم بالطبيعة الواحدة شعباً حجة غير شعبهم السرياني كالأقباط والأبشاش والأرمن والعرب ونصارى مليبار وغيرهم » .

نشروا عقيدتهم « بين العرب جيرانهم بني غسان ونجران وتغلب ومعد وبني كلب وغيرهم ، وكان بطارقة السريان ينصبون اسقفاً او اكثر لكل قبيلة من تلك القبائل العربية ودعي بعضهم بأساقفة « المضارب » فكانوا يرافقون القبائل العربية المتنقلة ويقسمون الرتب الدينية تحت الخيام » .

وكان علماء السريان حظوة وحرمة عند الخلفاء الراشدين والخلفاء الأمويين والعباسيين وكان منصور بن يوحنا السرياني وزيراً للعالية في عهد الخلفاء الراشدين «أما ابنه مرجون وحفيده يوحنا المشهور بالقديس يوحنا الدمشقي فقد توليا ديوان الأعمال والجبايات في عهد الخلفاء الأمويين» .

ولا عجب ان كانت علاقات علماء السريان مع خلفاء العباسيين مستحكمة الاستحكام كما «فقد تفجرت بناييع المعارف على يدهم وسالت الصحف بأقلام مترجمهم ومدنفهم وأطبائهم في طول البلاد وعرضها وأغنوا العالم بنفائس الأسفار التي استخرجوها الى العربية عن اللغات السريانية واليونانية والفارسية والعبرية والهندية» «وكان أولئك العلماء والأطباء يلازمون الخلفاء في بلاطهم ويجلسون الى مائدة طعامهم ويسامرونهم ويعالجون مرضاهم ويراقبونهم أحياناً في حروبهم وأسفارهم . وكان الخلفاء يجلون أطباءهم ويرحبون بهم ويُسْنُون لهم أعطيات سخية ويعودونهم في منازلهم حين مرضهم ويراسلونهم يتسبحون معهم في قضايا دينهم ويحضررون أحياناً الصلاة عليهم بالشمع والبخور في جنازاتهم» .

والمع المؤلف الى ذكر رجال العلم والدين من هذه الأمة القديمة وتوسيع ما ساعده المقام في الاشارة الى ما أقاموا من بيع ودبارات قال : «وعلى رغم ما تهدم من كنائس السريان بالزلازل والحروب ونوازل الدهر فقد بقيت لهم علم ١٢٣٦ عشرون ألف كنيسة» ولما تكلم عن خزائن كتبها قال : «غير ان الرزايا المسيحية التي حلت بديار الشرق في مختلف العصور اجبرت على كل ما فيها ومن فيها فلم تبق ولم تذر . وحسبنا ان نذكر أسماء الطغاة زنكي (?) وهو لاكو وجنكز خان وتيمورلنك وأشباههم ممن أعملوا السيف والنار في البلاد حتى جعلوها خراباً بيباً» .

وبعد فالمؤلف العالم هنا على توفيقه بإبراز هذه التحفة خدمة للعلم والتاريخ ونرجو ان يوفق الى وضع أمثال هذا التأليف المفيد .

آراء وأنباء

رد على تنبيه

نشرت في مجلة المجمع العلمي العربي م ١٨ ص ٤٠٩ كلمة بعنوان «اسماء متخفية لمسميات جديدة» جاء فيها ان «الكنف (وزان حبر) صالح لأن يطلق على محفظة الطبيب (جزدانه) الذي يضع فيه مقصه وشفرته وأداته وما يحتاج اليه احتياجاً قريباً» . ورأيت اليوم في المجلة نفسها م ٢١ ص ٤٧٥ بحثاً وسمه صاحبه التحرير «بالتنبيه والتوجيه» جاء فيه ان الكنف انما هو من أدوات الراعي ومثله الصقن وانه في مثل هذه المصطلحات يجب ان يرجع الى التاريخ فيسأل أولو العلم به هل كان اطباء الزمن القديم يتخذون جزدانات وما اسم الواحد منها ؟ وعقب كلامه هذا بذكره شيئاً من رسالة لابن فضلان يمثي بها الى الناصر لدين الله أو المستنصر بالله يشكو فيها دجالي ذلك العصر . وعمل الشاهد فيها قول ابن فضلان «وبين يديه المِلكة والمحددان ٠٠٠ ويمضي آخر النهار ومكتبه مملوءة قراصة ٠٠٠» وذكر أيضاً الحرمدان وقال ان معناها الشنطة العصرية واستشهد عليها بما جاء في النجوم الزاهرة وهو «وعندما يعزلونه من الوزارة يصبح يأخذ غلامه الحرمدان خلفه ويروح يقعد في ديوان الانشاء» وبأن الأمير طرطاي اسر جماعة من اصحاب منكوتر وفيهم حامل حرمدانه فوجد في الحرمدان كتباً من الأمراء» . والذي ظهر لي من هذا كله ان المنتقد الفاضل يعترض ما جئت به من هذا الاختيار ويفضل استعمال المِلكة والحرمدان على استعمال الكنف للشنطة العصرية او جزدان الطبيب بحجة ان القدماء من الأطباء قد استعملوها . اي اطباء زمن طرطاي ومنكوتر الذين كان لأمشالها زمام ذلك العصر الذي تفقخوا فيه روح العجمة في لغتنا الشريفة وبدأ الانحطاط في اللغة يطنى على كثير من اقلام مؤلفيه . ذلك العصر الذي كانت سلاسة التعبير في اللغة تكدر بمثل قولهم «يصبح يأخذ غلامه الحرمدان خلفه ويصبح يقعد» فهل مثل هؤلاء بوجب حضرة المنتقد

الفاضل ان نرجع اليهم في تقويم كلامنا والى كلامهم يجب ان نستخدم اصطلاحاتنا وأوضاعنا الحديثة المعنى ؟ ؟

انني اخترت الكنف لأن الطيب يضع فيه مقصه وشفرته وأداته كما كان يفعل الراعي فيصح حينئذ استعماله في كليهما . على ان الكنف ليس خاصاً بالراعي في كتب اللغة فقد جاء في اللسان انه وعاء طويل يكون فيه متاع التجار واسقاطهم ومنه قول عمر في ابن مسعود الخ وانه وعاء يضع فيه الصائغ اداته . فكما صح عند الأئمة استعماله للتاجر والصائغ فليصح لنا استعماله للطبيب ما دام في كليهما حافظاً للشفرة والمقص ولا ريب ان اختيار السائغ العذب في لغة العرب الفصحى للمعاني الحديثة افضل من اختيار الكلمات المستهجنة ولا سيما اذا كانت دخيلة كالخرمدان . بل وافضل ايضاً من اختيار الكلمات البعيدة في اصل معناها عن المعنى المراد . وقد فسر الأئمة كما في القاموس المحيط المكنة بشبه كيس يوضع على قم الحمار وليس كل ما استعمل في العصر الذي عرفت فيه المكنة والخرمدان للمحافظة يجب علينا الأخذ به وبكون ضاللتنا عن رجوعنا الى التاريخ وسؤال أولي العلم ، مادامنا لم نخرج في اختيارنا للمستعذب المستملح عن سنن الفصحى . وقد استعمل اهل ذلك العصر كلمات لم تعذب في أذواق هذا العصر ولم ترعها اسماءهم فهجروها والا فما بالنا لا نحتفظ بالخرمدان لما ينصب عليه القدر وبالكردناك او الكردناج للخصي من الشواء وبالشامرك والشامرغ للفتي من الدجاج وامثال ذلك مما شاع في ذلك العصر واستعمله بعض مؤلفيه فقال اهل اللغة في الأول العنة وقلنا المنصب والمنقل وقلنا في الثاني المصلي في الفصيح والشاورمة في العامي وهي أخف من الكردناك وقلنا في الثالث الفروج .

السوائل والموائع

ويقول المنتقد الفاضل ان الصواب ان يقال في السوائل الملتببة : المائعات او الموائع لأن السيلان ليس بشرط أصلي في التسحية . واقول انني لما قلت السوائل الملتببة راغبت الاسم المشهور عند اهل هذا العصر لهذا الذي يقذف أيام الحرب ولم قلت الموائع الملتببة لم يتبادر المعنى المراد لكثير منهم .

على ان اطلاق السائل على المائع او العكس لا يعد غلطاً مبنياً كما جزم به الكاتب الفاضل لأن المائع والسيلان يتعاقبان على المعنى الواحد قال في اللسان : « مائع الماء والدم والشراب ونحوه يبيع مائعاً جرى على وجه الأرض جرياً منبسطة في هيئته ومنه سميت الميعة لأنها صائلة . . . وفي حديث جرير ماؤنا يبيع وجنابنا مريع . . . والميعة سيلان الشيء المصبوب » ويقول في مادة س ي ل « سال الماء والشيء سيلاً وسيلاناً جرى واساله غيره وقال الراغب الاصفهاني في مفرداته « سال الشيء يسيل وأسئلته انا قال وأسئلنا له عين القطر اي اذنا له والاسالة حالة في القطر تحصل بعد الاذابة وقال ابن الأثير في النهاية « مائع الشيء يبيع وانما اذا ذاب وسال » .

فكيف يكون بعد هذه النصوص استعمال السوائل في موضع المائعات او الموائع غلطاً مبنياً ؟ وفقنا الله للصواب .

احمد رضا

التفيه والتوجيه

— ٤ —

٥٠ - وجاء في ص ٣٥٣ « ثم علام يستند ان في ٥٠٠ ، قلت : الصواب « إلام » فانه يقال استند اليه لا عليه ، وذلك لأن الاستناد يكون من الجوانب لا من الأعلى ، وعلى العكس الاعتماد ، يقال « اعتمد عليه » .

٥١ - وورد في ص ٣٨١ مانصه « ولكن كتابنا كثيراً ما يتأثرون بالأسلوب الانجليزي في استعمال اسم الموصول ^(١) (كذا) فيقول بعضهم مثلاً : سيف الدولة الذي حكم في حلب ، والتدقيق في هذه العبارة يوم أن هنالك اكثر من سيف دولة حكم في حلب » ، قلت : دققنا النظر فيها فلم نفهم ما فهم الكاتب الفاضل ، وإن جاز أن يفهم منه وجود سيوف دولة - وهو بعيد - فليس يدل على أنهم كلهم حكموا في حلب ، لأن الوصف بالذي وصلتها يجعل الصفة - أي حكم

(١) ما خطأ صوابه [الاسم الموصول] لأنه «وصوف وصفة لا مضاف ومضاف اليه

على ان اطلاق السائل على المائع او العكس لا يعد غلطاً مبنياً كما جزم به الكاتب الفاضل لأن المائع والسيلان يتعاقبان على المعنى الواحد قال في اللسان : « مائع الماء والدم والشراب ونحوه يبيع مائعاً جرى على وجه الأرض جرياً منبسطة في هيئته ومنه سميت الميعة لأنها صائلة . . . وفي حديث جرير ماؤنا يبيع وجنابنا مريع . . . والميعة سيلان الشيء المصبوب » ويقول في مادة س ي ل « سال الماء والشيء سيلاً وسيلاناً جرى واساله غيره وقال الراغب الاصفهاني في مفرداته « سال الشيء يسيل وأسلته انا قال وأسلنا له عين القطر اي اذنا له والاسالة حالة في القطر تحصل بعد الاذابة وقال ابن الاثير في النهاية « مائع الشيء يبيع وانما اذا ذاب وسال » .

فكيف يكون بعد هذه النصوص استعمال السوائل في موضع المائعات او الموائع غلطاً مبنياً ؟ وفقنا الله للصواب .

احمد رضا

التفيه والتوجيه

— ٤ —

٥٠ - وجاء في ص ٣٥٣ « ثم علام يستند ان في ٥٠٠ ، قلت : الصواب « إلام » فانه يقال استند اليه لا عليه ، وذلك لأن الاستناد يكون من الجوانب لا من الأعلى ، وعلى العكس الاعتماد ، يقال « اعتمد عليه » .

٥١ - وورد في ص ٣٨١ مانصه « ولكن كتابنا كثيراً ما يتأثرون بالأسلوب الانجليزي في استعمال اسم الموصول ^(١) (كذا) فيقول بعضهم مثلاً : سيف الدولة الذي حكم في حلب ، والتدقيق في هذه العبارة يوم أن هنالك اكثر من سيف دولة حكم في حلب ، قلت : دققنا النظر فيها فلم نفهم ما فهم الكاتب الفاضل ، وإن جاز أن يفهم منه وجود سيوف دولة - وهو بعيد - فليس يدل على أنهم كلهم حكموا في حلب ، لأن الوصف بالذي وصلتها يجعل الصفة - أي حكم

(١) ما خطأ صوابه [الاسم الموصول] لأنه «وصوف وصفة لا مضاف ومضاف اليه

حلب - مقصورة على هذا السيف وحده ، ولذلك يصح أن يقال « سيف الدولة الذي حكم سيف حلب وسيف الدولة الذي حكم في الحلة على نهر الفرات وهو سيف الدولة صدقة بن ديبس الأسدي المريدي » مؤسس مدينة الحلة واليه نسبت فقبل لها « الحلة السيفية »

٥٢ - وجاء في ص ٣٨٠ أيضاً قول هذا الفاضل « وبما أن الكلام في اغلاط العوام نخلق بنا ان نوسع » ، وفي هذا التعبير أوهام وصوابه « ولما أن الكلام في اغلاط العوام كننا خليقين أن نوسع » وذلك باحلال « لما » بكسر اللام وتخفيف الميم محل « بما » وهذا من أسلوب الجاحظ وبجذف « الفاء » لعدده وجود الشرط الذي يستوجبها ، وبادخال فعل في الجملة ليشتمل به « لما أن » وبجعلنا خليقين جديرين قبيين لاجعل التوسيع خليقاً بنا ولا اختيار له ولا إرادة ولا ذات .

٥٣ - وجاء في ص ٤٩١ « إنه ليس في حاجة الى غيرها » وهو يخالف لأسلوب القرآن الكريم وأساليب الفصحاء وذلك أن القرآن الكريم والعرب يستعملان الحاجة استعمالين اذا كانت مع الحرف الجار ، أحدهما استعمالها في الجملة الاسمية . إذ ذاك يجب جعل الحاجة في المحتاج فيقال « لي ولي وفي نفسي وفي صدري حاجة » . ليس بفلان حاجة ، والاستعمال الآخر في الجملة الفعلية او مع شبه الفعل نحو « جاء اليهم في حاجة » وذهب في حاجة وأرسله في حاجة ، وقول الشاعر :
إذا كنت في حاجة مُرسلاً فأرسل حكماً ولا توصه

أي اذا كنت مُرسلاً أحداً في حاجة فأرسل حكماً . . . وفي هذا الاستعمال وحده تبحر الحاجة بحرف الجر ، ومن الأول قوله تعالى « إلا حاجة في نفس يعقوب فضاها . وتبلغوا عليها حاجة في صدوركم »

٥٤ - وورد في ص ٤٩٥ « من الأشجار التي تنبتها الطبيعة » قلت : إن العرب قالت « الأشجار البرية » وهي ضد المزروعة فلا حاجة بهم إلى نسبة إنباتها إلى الطبيعة ، قال المبرد في وصف الضال « والضال : السدر البري » وما كان من السدر على الأنهار فليس بضال^(١) ، فالذي على الأنهار مغروس .

(١) كامل المبرد ج ١ ص [٤٩] من طبعة الدبلوني الأزهرى .

٥٥ - وورد في ص ٥٠٦ « بمحمد وآله آمين » والصواب بمحمد وآله آمين » والنقد واضح .

٥٦ - وجاء في ص ٥٠٦ وما بعدها ترجمة الأمير فخر الدين يوسف بن أبي الحسن محمد الحوئي الجوفي ، منقولة من عدة مراجع وقد رأينا مرجعاً جديداً لترجمة هذا الكبير ، قال ابن الغوطي : « فخر الدين أبو المظفر يوسف بن شيخ الشيوخ أبي الحسن محمد بن أبي الفتح عمر بن علي بن محمد بن حمويه بن محمد بن محمد بن نصر بن الأمير حمويه بن علي الجوفي المصري الأمير ، من البيت العربي في المشيخة والتصوف والامارة واصله ^(١) من بخراباذ من رستاق جوين من أعمال نيسابور ، انتقل الى مصر وسكنها وصار شيخ الشيوخ بها وأعقب أولاداً نجباء ، وكان فخر الدين في خدمة الكامل بن العادل وانفذه رسولاً الى بغداد في أيام الناصر وكان يلبس العمامة فلما رأوا شهادته طلع عليه القباء والقنصوة من دار الخلافة وأعطى الكوسات والأعلام وقيل [له] : ما تصلح أن تكون الا أميراً ^(٢) . واستمر حاله في اللباس مدة أيام الكامل وله غزوات في الفرنج واستشهد بالنصرة في ذي القعدة سنة سبع وأربعين وسبعمائة ^(٣) » .

٥٧ - وجاء في ص ٥٢٤ « ثم وقع الجبل ^(٤) بيد أحد امراء الأطراف وهو أحمد بن مروان أبو نصر الكردي صاحب ديار بكر وميافارقين . . . » ذكر ذلك الكاتب الفاضل بعد نقله خبر اهداء السلطان طغرل بك الجبل الياقوت المذكور الى الخليفة القائم بأمر الله ، وسياقة التاريخ توجب تأخير خبر اهداء عن خبر الامتلاك ، ألا تراه - أعني كاتب المقالة - نقل بعد ذلك قوله « وأنفذ ^(٥) للسلطان طغرل بك هدايا عظيمة ومنها الجبل الياقوت الذي كان لبني بويه وإبداعه

(١) اصل الاصل [وأبوه أصله] (٢) قلت : هذه من غرائب المسكات وتؤيد ما قيل

في سيرة أمير المؤمنين الناصر لدين الله من أنه كان آية في اختيار الرجال ومعرفة أهل الفضل ودوي السكال (٣) كتاب « تلخيص مجمع الآداب المرتب على معجم الأسماء في معجم الألقاب » ص ٢٨٢ من نسختنا الخطية المنسوخة على نسخة ظفرية في المكتبة العامة ببغداد وهذه الظفرية مصورة على نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق . (٤) هو ضئ ياقوت عظيم كتبت المقالة النجدة فيه . (٥) الضمير يعود الى الأمير أحمد بن مروان المذكور

من ورثة الملك أبي منصور بن أبي طاهر ٠٠٠» وقال سبط ابن الجوزي في ترجمة الأمير الكردي المذكور «وكان عنده الجبل الياقوت الأحمر الذي كان لبني بويه اشتراء من ورثة الملك أبي منصور بن أبي طاهر وأنفذه الى طغرل بك مع هدايا كثيرة تساوي ثلاثمائة الف دينار ومعها مائة الف دينار عيناً ٠ وهذا الجبل الياقوت هو الذي قدمه السلطان للخليفة لما نزل من الحديثة واجتمع به في النهر وان (١)»
فالصواب إذن ان يقال «وكان الجبل الياقوت قد وقع بيد أحد الأمراء ٠٠٠»
ليطود التاريخ، وقد فأت الكاتب الفاضل شي من أولية «الجبل الياقوت» قال ابراهيم بن محمد البيهقي «قال الكسائي: دخلت على الرشيد ذات يوم وهو في ابوانه وبين يديه مال كثير قد شق عنه البدر شقاً وأمر بتفريقه في خدم الخاصة ويده درهم تلوح كتابته وهو يتأمله وكان كثيراً ما يحدثني فقال: هل طمعت من أول من سن هذه الكتابة في الذهب والفضة؟ فأت: يا سيدي هذا عبد الملك بن مروان ٠ قال: فما كان السبب في ذلك؟ فقلت: لا أعلم غير انه أول من أحدث هذه الكتابة ٠ فقال: سأخبرك ٠٠٠ ثم رمى بالدرهم الى بعض الخدم وقال: علي بالخازن ٠ فأقبل الخازن، فقال: انتهي بالجبل ٠ فأتاه بحق فيه خاتم ياقوت بتقد كأنه مصباح، فقال للخادم: ضع لنا هذا على هذا الدرهم الذي معك وليكن على مقدار اصبعي ٠ ثم قال: أتعرف هذا الخاتم؟ فقلت: لا يا سيدي ٠ قال: إن ملك الترك كان غزوا في زمن أبي مسلم سمرقند وعليها عامل له يقال له صبيح بن اسماعيل ومع ملك الترك قائد ملك الصين كان جليلاً عنده عظيم القدر بمنزلة ولي العهد أمده به اصر كان بينهما في سبعين الف رجل وان صبيح بن اسماعيل ظفر بمسكر التركي وهزمه وغنم عامة ما فيه وأمر كافة رجاله وأمر القائد الصيني فيمن أمر فكان هذا الخاتم في اصبعه (٢) فأخذه منه وبعث به الى أبي مسلم فبعث به ابو مسلم

(١) أصول التاريخ والأدب [مج ٣٠ ب ص ١٩٦] قتلا عن امرأة الزمان ٠ (٢) وهذا الخبر يخالف ما نقله الكاتب الفاضل من مروج المصنوع من كون الجبل من جواهر الأمكاسرة وكون الرشيد اشتراه بأربعين الف دينار وليت شعري ما الذي ذكر المصنوع في أخبار الزمان من تاريخ ذلك النسب الياقوت الذي أدخله في تاريخ «خواتم ملوك الفرس» من كتابه ذلك؟

الى أبي العباس فأعجب به إعجاباً شديداً ودعاه من يبصره من الجوهرين والمقوتين
وسأله عن قيمته فلم يحسنوا ان يقولوه ، فلم يزل مرفوعاً في خزانته الى أن
مات فلما أخرج ما كان في خزانته من الجواهر والنفائز لتباع أخرج هذا الخاتم
فتودي عليه وطلبه المنصور وعيسى بن موسى وتزايدوا عليه فبلغ به المنصور أربعين
الف دينار وحرص على شرائه واشتد عليه مزايده عيسى اياه فيه ، فلما رأى
عيسى ان ذلك قد غاظه أمسك عن مزايده فاشتراه المنصور بأربعين الف دينار
فما ظنك بشيء يشتره المنصور بهذه الجملة في ذلك الزمان وكان الدرهم أعز
من الدينار في زماننا ، فلم يزل الخاتم في خزانته الى أن ولي المهدي فأخرجه ووجهه
لي من دون أخي الهادي وذلك أنه جعل ولاية العهد له فأرضاني عن ولاية العهد
بهذا الخاتم وبأشياء أخر فلما ولي الهادي طلب مني الخاتم فتمتته ولجّ فيه لجاً شديداً
وبعث الى سعيد بن سلم الباهلي بدعوتي فعلمت لم بدعوتي فأخذت هذا الخاتم
وأخرجته من اصبعي فلما توسطت الجسر قلت لسعيد : انظر الى هذا الخاتم . ثم
رميت به في دجلة . ومضى سعيد الى الدار فأخبر الهادي بما كان مني فبعث بالفواصين
الى الموضع الذي ألقيت فيه الخاتم فطلبوه أشد طلب فلم يقدرُوا عليه فلما صار الأمر
الينا بعثنا الفواصين فأخرجوه فها هو ذا عندي . ثم قال : يا علي أتعينك بذلك هذه
الأموال وقد عوضناك لاصفائك الينا بخمسين الف درهم . فحمدت بين يدي .
قال ابراهيم البيهقي : وحكي بعد ذلك أن هذا الخاتم صار الى المأمون فوجهه
لبوران ابنة الحسن بن سهل ذي الرياستين ثم صار الى المعتصم ثم الى المعتز والمستعين
فنفقشه المستعين ثم صار كل خليفة ينقش عليه اسمه حتى نقصت من قيمته وهو
الآن عند الخليفة المقتدر بالله ^(١) .

قلت : وقد صار الجبل الياقوت المذكور الى علي بن بويه الديلمي على ما جاء
في أخبار ابن مكتوم الشيرازي فإن يوسف بن وجيه أحد ارباب الدولة والسultan
في ذلك الزمان سأل ابن مكتوم المذكور عما ادّخره علي بن بويه المقدم ذكره

(١) ابراهيم البيهقي في الحسن والمساوي [ج ٢ ص ١٢٩ - ١٣٠] .

من الذخائر والجواهر فقال ابن مكتوم « لا أعلم الا ما سمعت أن الجبل الذي كان للمقتدر قد وصل اليه » فقال: وما الجبل؟ قال: فص يا قوت أحمر فيه خمسة مثاقيل^(١) . ولا يعلم بعد ذلك ما صار اليه ذلك الجبل الياقوت أما تكرار اسم « الجبل » في التواريخ فلا يعني أنه ذلك الجبل بعينه لأن الجبل كان خاصاً ثم صار عاماً لكل جوهر كبير من الياقوت وغيره من الحجارة الكريمة ، وإلا فكيف يصير الجبل من خزائن دار الخلافة العباسية الى دار الخلافة الفاطمية بالقاهرة ولم تجر عليها حادثة كحادثة أرسلات البساسيري . قال سبط ابن الجوزي في ترجمة ابي محمد عبد الله بن يوسف العاضد بالله الفاطمي « وكان في القصر من الجواهر النفيسة ما لم يكن عند خليفة ولا ملك مما قد جمع على طول السنين فمنه القضب الزمرد وطوله قبضة ونصف والجبل الياقوت الأحمر والدرّة اليتيمة مثل ييضم الحمام والياقوتة الحمراء ونسعى الحافر وزنتها أربعة عشر مثقالاً^(٢) » ولو كان لذلك الجبل اتقال « بجبل بني العباس لنبه عليه سبط ابن الجوزي كما نبه قبل ذلك . وكذلك سكت عن الاشارة من تأخر زمنه عن ابن الأثير وسبط ابن الجوزي كما نبه شامة فانه قال « وحصل صلاح الدين على البقيات وقطع البلخش والياقوت وقضب الزمرد » ثم نقل بعض كلام ابن الأثير عن الدين^(٣) وذكر المؤلف المذكور أن صلاح الدين بعث فيما بعث به من النفائس الغريبة الى نور الدين محمود بن زنكي حمر ياقوت وزنه سبعة مثاقيل^(٤) .

هذه تعليقاتي على ما قرأته من المجلد الثامن عشر من هذه المجلة الزاهرة ، وقد اقتصر فيها على ما لم أجد بداً من التعليق عليه في أثناء قراءتي اياه ، وسأبدأ التعليق على المجلد التاسع عشر مستعيناً بالله تعالى مستهدياً له -- عن وجل -- الى السبيل السوي .

(بغداد) الدكتور مصطفى جواد

(١) أبو علي التوحي في [نشوار المحاضرة ج ٨ ص ١٥١] . (٢) مختصر المجلد الثامن من مرآة الزمان [ص ١٨١] . (٣) كتاب الروضتين [ج ١ ص ٢٠٠] . (٤) المرجع المذكور ص [٢٠٩]

الفهرس العام لمواد المجلد الحادي والعشرين

منسوقاً على حروف الهجاء

- | | |
|--|--|
| انتخاب عضو عامل ١٨٣ | آراء وانباء ٧٧ و ١٨٣ و ٢٧٣ |
| ايها العرب اتحدوا (كتاب) ٦٤ | و ٣٦٩ و ٤٦٣ و ٥٦٤ |
| بقايا الفصاح ١٣ | ابن ابي عذبية وتاريخه ٣٠٦ |
| بقية ما ترك الأجداد ٨٥ | ابو حاتم البستي ٩١ |
| بهارستان نور الدين (كتاب) ٢٧٢ | ابو الهذيل العلاف ١٠٢ و ٢٠٥ |
| بين العلم والأدب (كتاب) ٣٦٢ | الأدب العربي في بلاد فارس ٤٩١ |
| تاج الدين الكندي ٣٤٨ | آراء وملاحظات بشأن الدروس العربية ٣٦ |
| تاريخ الأسطول العربي (كتاب) ٦٥ | الاستعمال محكم ٢٧٤ |
| تاريخ حكماء الاسلام - ظهير الدين | استقبال عضو عامل جديد ٣٦٩ |
| البيهقي ٥٤٨ | اسماء نباتات انجمية من اصل عربي ٢٣ |
| تاريخ المشايخ اليسازجيين واصهارهم | الاصفقانية ٨٨ |
| (كتاب) ١٧٣ | الاصلاح الزراعي (كتاب) ١٧٥ |
| ترجمة الشيخ عبد القادر المبارك ٨١ | اعضاء المجمع العلمي العربي في سنة |
| تصحيح واستدرك ٩٥ | ١٣٦٥ و ١٩٤٦ و ٧٧ |
| تطور الري في العراق (كتاب) ٣٦٦ | اعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون ٧٩ |
| تعقيب ٢٨٢ | اغلاط الافرنج ٣ |
| تعليق ١٨٦ | افراح الربيع ٣٦٥ |
| تعليقات على مقال (دور كتب فلسطين | اقرب الموارد ١١٨ و ٣١٨ و ٣١٧ |
| ونفائس مخطوطاتها) ١٨٧ | اقنعة الحب ٤٤٦ |
| تفنيه ٣٧٨ | الألفاظ الغربية في شعر ابي فراس ٨٤ |
| التفنيه والتوجيه ٢٨٦ و ٣٨١ و ٤٦٥ و ٥٦٦ | آل بكتشكين - مظفر الدين كوكبري - |
| جغرافية شبه جزيرة العرب (كتاب) ١٧٧ | ٤٠٤ و ٥١٥ |
| الجهاد السيامي ٥٦٠ | الباذة هوميروس (كتاب) ٣٥٦ |

مفريات دورا - اروبس (كتاب) ٦٦
الحكومة المصرية تتبرع بالني جنيه
المكتبة المعري ٢٧٣
حول القنبلة ٢٨٧
خيالات (كتاب) ٣٦٣
الدرر الفاخرة بآثر الملوك العلويين
بناس الزاهرة (كتاب) ١٦٢
الدليل البريطاني لعام ١٩٤٥ م ٤٦١
دمشق القديمة (كتاب) ٢٧١
دور كتب فلسطين ونفاس مخطوطاتها ٤٩
ديوان ابن عنين ٥٥٤
ديوان زهير بن ابي سلمى ٣٧٨
ديوان الغزي (كتاب) ١٨٧
الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة
(كتاب) ٤٤٢
ذكرى احمد تيمور باشا ٦٢
ذيل مرآة الزمان ٣٧٨
رأس مجي وذكريا ١٤١
ربيع الأبرار للزمخشري ٧٤
رد على نفيه ٥٦٤
زوج Sexe ٢٨٥
السمنية والفند ١٩١
السلوان الكاذب (كتاب) ٦٣
سومر (كتاب) ٦٤ و ٢٧٢
سياحة الغد، برنامج سياحي واقتصادي
واجتماعي (كتاب) ١٧١
شروح سقط الزند (قسمها الاول) ٢٥٦
ضرب الحوطة على جميع القوطة
لاين طولون ٢٣٦ و ٣٣٨
ضوء في تاريخ التوحيد (كتاب) ٤٥٦
الطرافة والابتذال في الادب العربي ٤٢٧
الطرح ومترادفاتها ٩٠
ظهير الدين البيهقي - تاريخ حكماء
الاسلام ٥٤٨
عبد الله فكري (كتاب) ٤٥٢
عصر الخرافة الذي نعيش فيه (كتاب)
٣٥٨ و ٣٥٩
عصر السريان الذهبي ٥٦١
عقدنا نكاح كتبنا في أواخر القرن
الثامن ٤١٩
العقل في الاسلام ٥٥٠
على هامش النثر الفني ٤٣٦
العلامة المراغي ٢٨٩
علم الاجتماع الديني (كتاب) ٤٤٤
العمل لمصر، بحث دولة واحياء مجد
(كتاب) ١٦٧
الغزالي وزعماء الفلاسفة ٣٩٤ و ٥٠٢
فرقد الغرباء ومراج الأدياء ٩١
القربونة ٢٧٩
فن التوليد (كتاب) ٢٧٠
فهارس المخطوطات في العراق ٥٣٨
القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية

٦٦
٢٧٣
٢٨٧
٣٦٣
١٦٢
٤٦١
٢٧١
٤٩
٥٥٤
٣٧٨
١٨٧
٤٤٢
٦٢
٣٧٨
١٤١
٧٤
٥٦٤
٢٨٥
١٩١
٦٣
٢٧٢ و ٦٤
١٧١

- (كتاب ٣٨٣)
- القضاء اللبناني (١٦)
- القبلة فارسية الاصل ١٨٣
- القول في اتكالنا ٩٧
- كتاب التبصر في الدين وتمييز الفرقة
- التاجية ٧٠
- كتاب المؤتمر الأول للمحاميين ٣٥٧
- كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة ٥٥٧
- كريم عنقول - العقل في الاسلام ٣٥٠
- كلمة الاستاذ عارف التكددي ٢٧٣
- كلمة الدكتور حسني سبيع ٣٦٩
- الكلمات اللغوية الطبية ٢٧
- كنز من كنوز الجاحظ ٥٣٠
- كيف يعمل العقل (كتاب ٣٥٩ و ٣٦١)
- المؤلفون في الشام ٤٨١
- المؤلفون في مصر ٣٨٥
- مجمع البيان في تفسير القرآن (كتاب ٤٤٩)
- مجموعة احصاء آت عن سورية ولبنان
- (كتاب ٧٢)
- مجموعة أشعار مصعبة المباني مغمضة
- المعاني ٥٤٤
- محاضرات نقابة المحامين ٥٦١
- مختصر تاريخ الحضارة العربية (كتاب ٤٥٩)
- مخطوطات ومطبوعات ٦١ و ١٦٢
- ٢٥٦ و ٣٥٢ و ٤٤٢ و ٥٤٨
- مدينة سراي ٣٧٦
- مركب النقص (كتاب ٢٦٥)
- معالم الوحي (كتاب ٧١)
- معطيات الوجدان البديعية (كتاب ٢٦٤)
- المقصورة التاجية ١٢٦
- ملاحظات لغوية ٢٨٣
- ملاحظة لغوية ٤٦٣
- الملك الظاهر بيبرس ١٣٣ و ٢٢٧ و ٢٢٩ و ٢٣٠
- منبع الاخلاص والدين (كتاب ٢٦٤)
- من عمل المجيعين ١٩٣
- من وحي المرأة (كتاب ٢٥٨)
- المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري
- (كتاب ٦٠)
- موجز الاقتصاد السياسي (كتاب ٣٥٢)
- موجز الطب الجراحي (كتاب ٢٦٨)
- ميسلون (كتاب ٣٦٤)
- نظام جديد وحياة جديدة - الأداة
- الحكومية (كتاب ١٦٣)
- نظرات في الصيام (كتاب ٦٧)
- نهضة العراق الأدبية في القرون
- التاسع عشر (كتاب ٣٦٢)
- هدية الى دار الكتب الظاهرية ٣٨٣
- هديتان الى دار الكتب الظاهرية ٩٥
- وادي القرات ومشروع سد الهندية
- (كتاب ١٧٤)
- الوقائع والنظريات الاقتصادية الحديثة
- في العصر الحديث (كتاب ٣٥٤)

فهرس الأعلام

لكتاب مقالات المجلد الحادي والعشرين

منسوقاً على حروف الهجاء

- | | |
|-----------------------------------|------------------------------------|
| عبد القادر المبارك ١٦٣ | أحمد رضا ١١٨ و ٢١٨ و ٣١٧ و ٥٦٤ |
| عبد القادر المغربي ٢٧ و ٧١ و ١٣٣ | أحمد صقر ٤٣٦ |
| ١٨٦ و ٢٢٧ و ٢٥٦ و ٣٢٩ و ٤٤٩ | أحمد عبيد ٩٤ |
| ٥٣٠ و ٤٥٥ و ٤٥٢ | أدوار مرقص ٣٦ و ٤٢٧ |
| عبد الله مخلص ١٨٧ و ٤١٩ | أسعد طلس ٤٩ و ١٤٩ و ٢٣٦ و ٣٢٨ |
| عبد الوهاب عثمان ٤٩١ | أنستاس ماري الكرمل ٨٨ و ٩٠ و ٢٧٩ |
| عمر رضا كحالة ٧٤ | جعفر الحسيني ٦٤ و ٦٥ و ٦٦ و ٢٧١ |
| كور كيس عواد ٥٣٨ | و ٢٧٢ و ٤٥٩ |
| محسن الأمين العالمي ٨٤ | جميل صليبا ١٠٧ و ٢٠٥ و ٢٦٢ |
| محمد أحمد دهمان ٧٠ و ١٢٦ و ٢٤٨ | و ٢٦٤ و ٢٦٥ و ٣٩٤ و ٤٤٤ و ٤٤٦ |
| محمد البرم ٢٥٨ | و ٥٠٢ و ٥٤٨ و ٥٥٠ |
| محمد بهجة البيطار ٦٧ و ٤٥٦ | جورج حداد ٦٨ و ٤٦١ |
| محمد راغب الطباخ ٨٥ و ١٤١ و ١٧٨ | حسني سبيع ٣٦٩ |
| محمد صلاح الدين الكواكبي ٢٨٧ | حنان نمر ١٩١ |
| محمد كردطي ٣ و ٩٧ و ١٧٧ و ١٩٣ | داود الجلي ٩٥ و ١٨٣ و ٢٨٥ و ٣٧٦ |
| ٢٧٤ و ٢٨٩ و ٣٨٥ و ٤٤٢ و ٤٨١ و ٥٦١ | سالم الكرنكوي ٣٧٨ |
| مرشد خاطر ٢٦٨ و ٢٧٠ | شفيع جبزي ١٢ و ٦١ و ٦٢ و ٦٣ |
| مصطفى جواد ٢٨٦ و ٣٨١ و ٤٦٥ و ٥٦٦ | و ٦٤ و ٣٥٨ و ٣٥٩ و ٣٦١ و ٣٦٢ |
| مصطفى الشهابي ٢٣ و ١٧٤ و ١٧٥ | و ٣٦٣ و ٣٦٤ و ٣٦٥ |
| و ٢٨٢ و ٢٨٣ و ٢٦٦ و ٤٦٣ | عارف التكددي ١٦ و ١٦٣ و ١٦٧ |
| منير الشريف ٧١ | و ٧١ و ١٧٣ و ٣٥٢ و ٣٥٤ و ٣٥٦ و ٣٥٧ |
| | و ٣٧٣ و ٥٥٤ و ٥٥٧ و ٥٦٠ و ٥٦١ |

فهرس الجزء الحادي عشر والثاني عشر من المجلد الحادي والعشرين

الصفحة

المؤلفون في الشام	٤٨١
الأدب العربي في بلاد فارس	٤٩١
الفزالي وزعماء الفلاسفة (٢)	٥٠٢
آل بكركين - مظفر الدين كوكبري	٥١٥
كثير من كتوز الجاحظ	٥٣٠
فهارس المخطوطات في العراق	٥٣٨
مجموعة اشعار مصنفه المياقي مفضضة المعاني	٥٤٤

مركز تحقيق المخطوطات ومطبوعات

ظهر الدين البيهقي؛ تاريخ حكماء الاسلام	٥٤٨
كريم عزقول؛ العقل في الاسلام	٥٥٠
ديوان ابن عتير	٥٥٤
كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة	٥٥٧
الجهاد السيامي	٥٦٠
محاضرات تقاية المحامين	٥٦١
عصر السريان الذهبي	٥٦١

آراء وأنباء

رد على تنبيه	٥٦٤
التنبيه والتوجيه (١)	٥٦٩
الفهرس العام	٥٧٢
فهرس الأعلام	٥٧٥